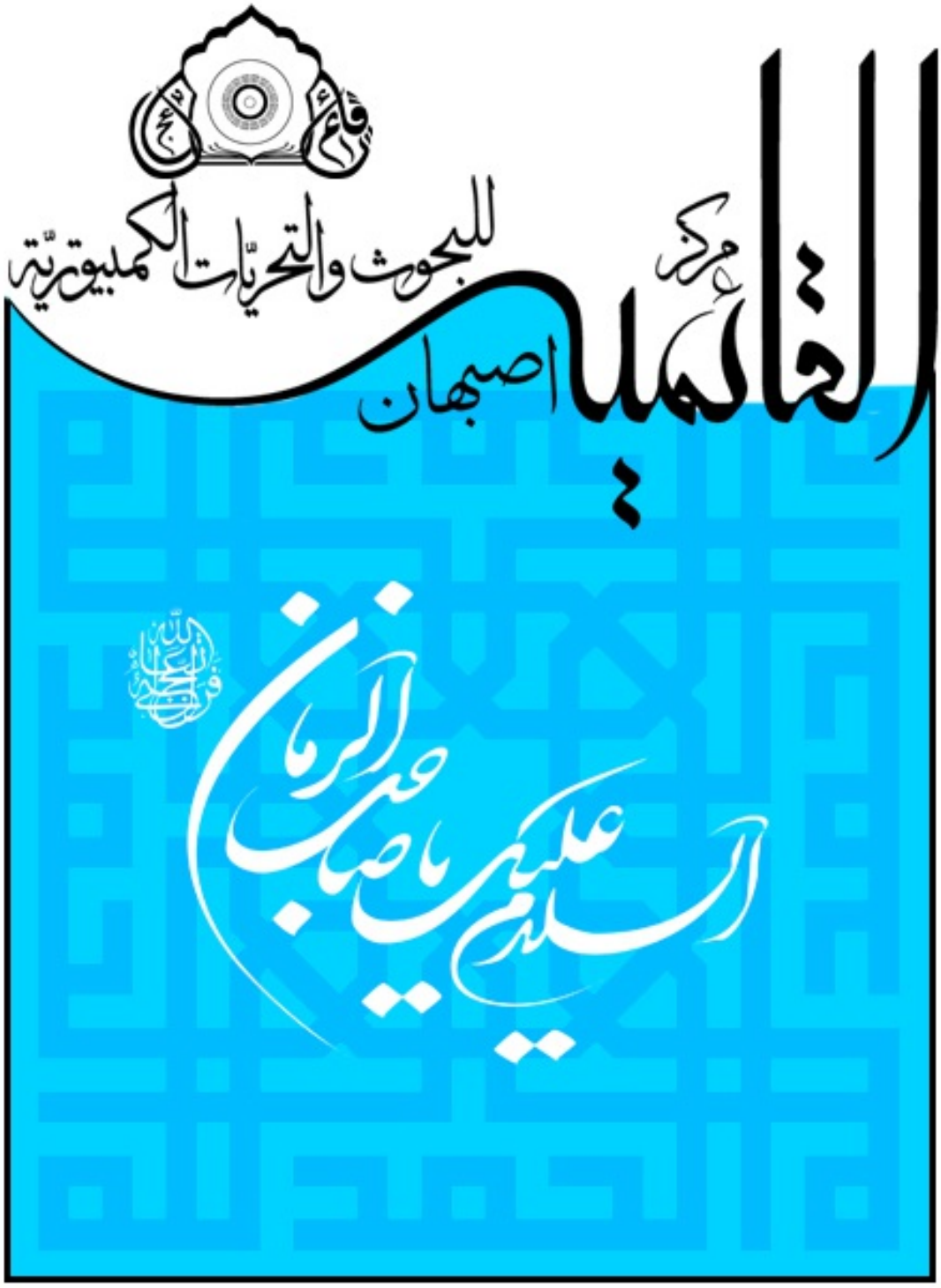

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ميقات الحج

مجلة فصلية تعنى بالشؤون الفكرية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

٢٢

* الحج، رموز وحِكَم (٤) * صلاة الطواف ومكانها *
* فقهيات معاصرة في الحج «٣» * فقه الجدال في الحج «٢» *
* صفحات من تاريخ المدينة المنورة *
* حكايات من مكّة المكرّمة * أسماء بنت عميس، دافية لحنكي *
* الرحلة الحجية للعلّامة السيّد محسن الأمين *
* مكّة المكرّمة دراسة في جغرافية المدن *

بسم الله الرحمن الرحيم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
میقات حج-المجلد الثانی و العشرون ----- ۶
اشارة ----- ۶
من لا یمرّ بمیقات ولا بما یحاذیه ----- ۶
الحج رموز، وحکم ----- ۲۸
الحجّ النیابی ----- ۳۲
الحج فی الأدب العربی ----- ۷۶
فی بیان حقائق مناسک الحج ----- ۸۲
حوار مع ممثّل الولی الفقیه لشؤون الحج والزیارة ----- ۸۷
ما الحج، ومن هو الحاج؟ ----- ۱۲۵
خزیمة بن ثابت الأنصاری، ذو الشهادتین ----- ۱۴۲
الدَّاعیة الأمریکی الحاج مالک شباز (مالکولم إکس) الحجُّ وفعلُه التغییری فی حیاته وفکره ----- ۱۹۱
تعریف مرکز ----- ۲۶۱

میقات حج-المجلد الثانی و العشرون

اشارة

نام کتاب: دو فصلنامه« میقات الحج»

نویسنده: مرکز تحقیقات حج

من لا یمرّ بمیقات ولا بما یحاذیه

ص: ۱

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

آية الله الشيخ جعفر السبحانى

اتّفقت كلمة الفقهاء على أنّ الآفاقى (النائى) يجب عليه الإحرام لعمرته من أحد المواقيت الخمسة التى وقّتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمن يمرّ بها (۱)، أو ممّا يحاذيها محاذاة عرفيّة، كما إذا كان الحد الفاصل بين الميقات ومهلّه، بضع كيلومترات.

أخرج الكلينى بسند صحيح عن عبدالله بن سنان الثقة عن الإمام الصادق (عليه

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱ من أبواب المواقيت، الحديث، ۲ و ۳ وغيرها.

ص: ۶

السلام) قال: من أقام بالمدینة شهراً وهو یرید الحجّ، ثمّ بدا له أن یخرج فی غیر طریق أهل المدینة الذی یأخذونه، فلیکن إحرامه من مسیرة ستة أمیال فیکون حذاء الشجرة من البیداء (۱).

ولعلّ الحدّ الفاصل بین المدینة ومسجد الشجرة یوم ذاک، کان ستة أمیال، فلذلک أمر الإمام بالإحرام بعد الابتعاد عن المدینة، مقدار ستة أمیال، لیکون المهلّ محاذیاً للمسجد.

إنّما الکلام إذا ورد عن طریق لا یمرّ بالمیقات، ولا بما یحاذیه محاذاة عرفیة، فیقع الکلام فی مهلِّه.

فإن قلنا بعدم تصور طریق لا یمر بالمیقات (۲) ولا یکون محاذیاً لواحد منها بحجة أنّ المواقیت محیطة بالحرم من الجوانب، وقلنا بکفایة مطلق المحاذاة،

۱- الوسائل: ۸، الباب ۷ من أبواب المواقیت، الحدیث ۱.

۲- قال المحقّق النراقی: وقد اختلفوا فی حکم من سلک طریقاً لا یحاذی شیئاً من المواقیت، وهو خلاف لافائدة فیه، إذ المواقیت محیطة بالحرم من الجوانب المستند: ۱۱/ ۲۸۳ وتبعه صاحب العروة الوثقی فی مبحث المواقیت، والتصدیق العلمی یحتاج إلی دراسة میدانیة، وأنّی لنا هذه.

ص: ۷

وإن كانت عن مسافة بعيدة فيحرم ممّا يحاذى أحد المواقيت.

وأمّا لو قلنا بإمكان طريق لا يمرّ بميقات ولا بما يحاذيه محاذاةً عرفيةً، عن مسافة قريبة، كما هو الحال فى مدينة «جدة» فإنّها ليست بميقات، كما هو واضح، ولا تحاذى أحد المواقيت كالجحفة، محاذاة عرفية (۱)، فيقع الكلام فيما هو الواجب على الوافدين إلى جدة جويّاً أو بحريّاً.

والمسألة معنونة فى كلمات الفريقين، وهى ذات قوانين منذ عهد بعيد، وإليك البيان:

الآراء فى المسألة

قال الغزالى فى «الوجيز»: «ولو حاذى ميقاتاً، فميقاته عند المحاذاة، إذ المقصود مقدار البعد عن مكة، وإن جاء

۱- وأمّا المحاذاة عن مسافة بعيدة، والتى نسميها محاذاة غير عرفية، فالظاهر من الخرائط الجغرافية أنّ المطار الحديث للحجاج و ضفاف البحر، ومقدم الجسر الكبير تحاذى الجحفة، فإنّ الخط الممتد من الجحفة إلى جدّة يمرّ على هذه الأمكنة أو على مقربة منها.

ص: ۸

من ناحیهٔ لم یحاذ میقاتاً ولا مرّ به، أحرم من مرحلتین فإنّه أقلّ المواقیت وهو «ذات عرق»».

وقال الرافعی فی شرحه: «لو جاء من ناحیهٔ لا یحاذی فی طریقها میقاتاً ولا یمرّ به، فعلیه أن یحرم إذا لم یبق بینه وبین مکهٔ إلّا مرحلتان، إذ لیس شیء من المواقیت أقلّ مسافهٔ من هذا القدر».

ثمّ علّق علی قول الغزالی فی المتن: «فإنّه أقلّ المواقیت وهو ذات عرق» إنّما کان یحسب أن لو کانت ذات عرق أقلّ مسافـهٔ من کلّ ما سواها من المواقیت، لکن قد مرّ أنّ ذات عرق مع یلملم وقرن، متساویهٔ فی المسافهٔ (۱).

وقال محی الـدین النووی: وأمّا إذا أتی من ناحیـهٔ ولم یمرّ بمیقات ولا ما حاذاه، فقال أصـحابنا: لزمه أن یُحرم علی مرحلتین من مکـهٔ، اعتباراً بفعل عمر فی توقیته ذات عرق (۲).

والظاهر أنّ فقهاء السنّهٔ علی قول

۱- العزیز فی شرح الوجیز المعروف بالشرح الکبیر للرافعی ۲۲۵: ۳- ۳۳۶

۲- المجموع ۲۰۳: ۷، وهو شرح للمهذب للشیرازی.

ص: ۹

واحـد، وهو الإـحرام على مرحلتين من مكـة، تمسّـكاً بما فعله عمر حيث جعل ذات عرق ميقاتاً، لأنّه على مرحلتين من مكـة، مثل قرن المنازل ويلملم.

ولكن الثابت عندنا أنّ رسول الله نصّ على كون «ذات عرق» ميقاتاً (۱).

وما ذكره الغزالى من الوجه من أنّ المقصود الابتعاد بمقدار المرحلتين أو أزيد، فيكفى الإحرام من هذا المقدار من البعد، استحسان لا دليل عليه، ولا ينفى لزوم العود إلى الميقات، ولا لزوم الإحرام من مقدار أبعد المواقيت إذا لم يجاوزه ولم يكن محاذياً.

أضف إلى ذلك: أنّ ما دلّ على الابتعاد بهذا المقدار من المسافة، إنّما دلّ إذا أحرم من الميقات، لا مطلقاً وإن لم يمرّ على ميقات.

وأمّا فقهاؤنا فلهم قولان:

۱. الإحرام من مرحلتين من مكة

إذا سلك طريقاً لا يمرّ فيه على هذه المواقيت ولا يكون محاذياً فقد اختار ابن

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱ من أبواب الميقات، الحديث ۲.

ص: ۱۰

الجنید ما حکیناه عن فقهاء السنة فی أنّه یحرم من مکة بقدر أقرب المواقیت إلیها فیحرم منه (۱).

وذکر الشهید الثانی فی وجهه: أنّ هذه المسافة لا یجوز لأحد قطعها إلّا محرماً من أیّ جهة دخل، وإنّما الاختلاف یقع فی ما زاد علیها، فهی قدر متفق علیه (۲) وفی «المدارک» قریب ممّا ذکره والده فی المسالک (۳).

یلاحظ علیه:

أولًا: إنّ ما ذکره لیس مبرّراً للإحرام من هذه المسافة، إذ لماذا لا یعود إلی المیقات؟! وقد عرفت أنّ ما ذکره من أنّه لا یجوز قطع هذه المسافة، بلا إحرام إنّما هو فیما إذا أحرم من المیقات لا مطلقاً، فلا دلیل علی لزوم الإحرام فی قطع المرحلتین إذا أحرم من غیر المواقیت المنصوصة کما سیأتی.

وثانیاً: الإحرام من أدنی الحل

۱- المختلف ۴۳: ۴.

۲- المسالک ۲۱۶: ۲.

۳- المدارک ۲۲۳: ۷- ۲۲۴.

ص: ۱۱

وهنـاک وجه آخر، وهو الإحرام من أدنی الحل، من غیر فرق بین الجعرانـة، أو الحدیبیـة، أو التنعیم، وإن کان الثالث أقرب إلی مکـة، فقد ذکره العلّامة فی عدّة من کتبه، والشهید الثانی فی «المسالک»، واستحسنه فی «المدارک». وإلیک بعض الکلمات:

۱. قال العلّامـة فی «القواعد»: «ولو لم یؤدّ إلی المحاذاة فالأقرب إنشاء الإحرام من أدنی الحلّ، ویحتمل مساواة أقرب المواقیت». (۱) ۲. وقال فخر المحقّقین معلّقاً علی قول والـده فی القواعـد: «وجه القرب أنّه میقات للمضـطرین، کالناسـی، وهـذا الّـذی حجّ علی طریق لا یؤدی إلی میقات ولا إلی محاذاته منهم، لتعذر المیقات، وهو الأقوی عندی.

ووجه الثانی: أنّ الاعتبار بالمحاذاة إنّما هو المساواة» (۲).

۳. وقال فی «التذکرة»: «ولو مرّ علی

۱- القواعد ۴۱۷: ۱.

۲- الإیضاح ۲۸۴: ۱.

ص: ۱۲

طریق لم یحاذ میقاتاً ولا- جاز به، قال بعض الجمهور: یحرم من مرحلتین، فإنّه أقلّ المواقیت وهو ذات عرق، ویحتمل أن یحرم من أدنی الحلّ» (۱).

۴. وقال فی «التحریر»: «ولو مرّ علی طریق لا یحاذی میقاتاً، فالأقرب الإحرام من أدنی الحلّ» (۲).

۵. وقال الشهید الثانی فی «المسالک»: «موضع الخلاف ما لو لم یحاذ میقاتاً فإنّه یحرم عند محاذاته- إلی أن قال:- والوجه الآخر أن یحرم من أدنی الحلّ، عملًا بأصالة البراءة من الزائد» (۳).

۶. وقال فی «المدارک»: «واستقرب العلّامة فی القواعد، وولده فی الشرح: وجوب الإحرام من أدنی الحل، وهو حسن، لأصالة البراءة من وجوب الزائد.

وقولهم: إنّ هذه المسافة لا یجوز قطعها إلّا محرماً فی موضع المنع، لأنّ ذلک إنّما ثبت مع المرور علی المیقات لا مطلقاً، بل لولا ورود الروایة بوجوب الإحرام من

۱- التذکرة ۲۰۴: ۷.

۲- التحریر: ۱/ ۵۶۵.

۳- المسالک ۲۱۶: ۲- ۲۱۷.

ص: ۱۳

محاذاة المیقات (یشیر إلی صحیحة عبدالله بن سنان الواردة فی القریب لا البعید) لأمکن المناقشة فیه بمثل ما ذکرناه» (۱).

۷. وقال فی «الریاض»: «ولو لم یحاذ شیئاً منها، قیل: یحرم من مساواة أقربها إلی مکة، وهو مرحلتان تقریباً، لأنّ هذه المسافة لا یجوز لأحد قطعها إلّا محرماً، وقیل: من أدنی الحل، لأصالة البراءة من وجوب الزائد» (۲).

۸. قال النراقی: «ولو فرض إمکان (سلوک طریق لا یحاذی شیئاً من المواقیت)، فالمختار الإحرام من أدنی الحلّ، لأصالة البراءة عن الزائد» (۳).

۹. وقال فی «الجواهر»: «لو سلک طریقاً لم یکن فیه محاذاة میقات من المواقیت، وإن کان قد عرفت فیه الاحتمالین بل القولین: الإحرام من مقدار أقرب المواقیت أو من أدنی الحلّ (۴).

۱۰- وقد کانت المسألة ذات قولین إلی

۱- المدارک ۲۲۴: ۷.

۲- ریاض المسائل ۱۹۵: ۶.

۳- مستند الشیعة ۱۸۹: ۱۱.

۴- الجواهر ۱۱۸: ۱۸.

ص: ۱۴

أن أفتى السيد الحكيم بتعين الإحرام من أدنى الحلّ، وعلى ذلك طبّق عمله عند تشرّفه بالحجّ.

وقد نبّه إلى ذلك نجله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم فى شرح والده- عند ذكر بعض فتاواه الحديثة- وقال: ومنها:

الفتوى بكفايـة الإحرام من حـدود الحرم وأدنى الحـل للحجـاج الـذين يـأتون من الآفـاق، ممّن لا يمرّون فى طريقهم بأحـد المواقيت الخمسـة المعروفـة، أو ما يحاذيها محاذاة عرفيـة، كالحجاج الـذين يأتون إلى جـدة بالطائرات، وكذلك صـحّة الإحرام من هذا الموقع للمعتمر بالعمرة المفردة.

حيث كان يسـتفيد من روايات المواقيت أنّها مختصّـة بمن يمرّ عليها أو يحاذيها محاذاة عرفية، وهى المحاذاة الّتى يمرّ فيها الحاج قريباً من الميقات فى حالـة اسـتقباله لمكـة، وبـدون ذلك لا تكون هـذه محاذاةً ولا مروراً بالميقات، وبالتالى فيمكنهم أن يحرموا من أدنى الحلّ.

ص: ۱۵

ومع قطع النظر عن صـحّة هـذا الاسـتنباط وعـدمه فإنّ ذلک موکول للأبحاث الفقهیـة، ولکن المهم هو الشـجاعة والجرأة الأدبیة لهذه الفتوی، والّتی عالج بها مشکلة حقیقیة یعانی منها الحجاج استناداً لفهمه من النصوص (۱).

تعیّن القول الثانی:

إنّ الّـذی یحثّ الفقیه علی الخوض فی هـذه المسألـة أنّها ممّا یُبتلی به من قبل الکثیر من الحجاج، حیث إنّ الـذین یقصدون الحجّ من بلدان بعیدة علی أقسام:

۱. قسم منهم ینزلون مطار المدینة المنورة ویحرمون من ذی الحلیفة، وهذا من أفضل وجوه الحجّ.

۲. قسم آخر ینزلون مطار جدّة

۱- دلیل الناسک ۶۷- ۶۸.

ص: ۱۶

ویذهبون إلی المدینة شوقاً إلی زیارة النبی (صلی الله علیه وآله)، ویحرمون من ذی الحلیفة أیضاً.

۳. قسم منهم ینزلون مطار الجحفة ویحرمون منها.

إنّما الکلام فی القسم الأخیر.

۴. من ینزل مطار جدّة، ولا یتمکّن من الذهاب إلی المدینة، ویشق علیه الذهاب إلی الجحفة إمّا لضیق الوقت أو لا یریده طلباً للراحة.

فالقسم الرابع هو أکثر ما یبتلی الحجاج به، فأمام هؤلاء الطرق التالیة:

۱. إلزامهم بالذهاب إلی أحد المواقیت، کالجحفة أو قرن المنازل أو غیرهما.

۲. الإحرام من مرحلتین من مکة.

۳. الإحرام من أدنی الحلّ.

أمّا الأوّل: فلا دلیل علی الإلزام، فإنّ ما ورد من الروایات من أنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) قد وقّت لأهل المدینة ذا الحلیفة، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل نجد العقیق، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل الیمن

ص: ۱۷

يلملم (۱)، كلّ ذلك راجع إلى من كان أهل هذه المواقيت أو كان ممّن يجتازها، وأمّا من سلك طريقاً لا يؤدى إلى أحد هذه المواقيت فلا يوجد أىّ دليل على إلزامه بالعود إلى المواقيت.

وأمّا الثانى: وهو الإحرام من مرحلتين من مكة بحجة أنّه لا يجوز لأحد أن يجتازها بلا إحرام، فقد مرّ فيه الإشكال بأنّه راجع لمن حضر أحد هذه المواقيت فلا يجوز له قطع المرحلتين على الأقلّ بلا إحرام، وأمّا من ليس من أهلها ولا مجتازاً فلا دليل على أنّها بالنسبة إليه ميقات.

فتعيّن هنا الطريق الثالث: ويشهد له- مضافاً إلى كونه المحتمل الذى ليس وراؤه احتمال آخر- الأُمور التالية:

۱. إنّ أدنى الحلّ ميقات العمرة المفردة، للقارن والمفرد ولكلّ من يقوم بعمرة مفردة.

۲. إنّها ميقات من نسى الإحرام أو جهل بحكمه، فإنّه يحرم من أدنى الحلّ، فإن تعذر فمن مكانه، ففى

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱ من أبواب المواقيت، الحديث ۳ وغيره.

ص: ۱۸

صحیحهٔ عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله (علیه السلام) عن رجل مرّ علی الوقت الّذی یحرم الناس منه فنسی أو جهل فلم یحرم حتّی أتی مکهٔ، فخاف إن رجع إلی الوقت أن یفوته الحجّ؟ فقال: «یخرج من الحرم ویحرم ویجزیه ذلک» (۱).

۳. إنّها میقات المقیم بمکهٔ ما لم تمض علیه سنتان، فإنّه یخرج إلی أحد المواقیت إذا لزمه التمتع، ومع التعذّر إلی أدنی الحلّ.

وهذه الوجوه وما یقاربها تشرف الفقیه علی القول بکفایهٔ الإحرام من أدنی الحلّ بلا حاجهٔ إلی العود إلی المواقیت.

ویجب أن نذکر أنّ هناک مشکلهٔ أُخری تتعلّق بمسألهٔ وجوب ترک التظلیل لیلًا کالنهار عند جماعهٔ من الفقهاء، خصوصاً إذا کانت اللیلهٔ مطیرهٔ، أو ذات ریاح شدیدهٔ، فقد ذکروا ترک التظلیل من تروک الإحرام، هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّ السیارات المکشوفهٔ غیر متوفرهٔ،

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱۴ من أبواب المواقیت، الحدیث ۲.

ص: ۱۹

والمتوفرة لاستهلاكها، خطرة على حياة الحجاج، حينما يستقلونها من المدينة إلى مكة، فإنّ ركوبها وإن كان يسهّل الأمر من جهة ترك التظليل، لكن ركوبها، لا يخلو من نظر كما شاهدناه بأم أعيننا.

وهذا بخلاف مالو جاز لهم الإحرام من أدنى الحلّ، حيث إنّ المسافة بين الحديبية أو التنعيم ومكة قريبة جدّاً، فيمكن اتّخاذ سيارات مكشوفة تسير هذه المسافة القصيرة.

والأفضل حسب الظروف الحاليّة الإحرام من الحديبية لمن يصلها عبرأحد الطريقين القديم أو الجديد، حيث تتوفر فيها الحمامات بوفرة لجميع الحجاج نساءً ورجالًا، وهذا ما شاهدته بأُمّ عينى فى سفرى الأخير لأداء العمرة المفردة عام ۱۴۲۴ ه-. ق.

دراسة فتوى السيد الخوئى (قدس سره)

ثمّ إنّ السيد الخوئى- رضوان الله عليه- أفتى فى الموضوع بالأمور التالية:

۱. لزوم الذهاب إلى أحد المواقيت مع الإمكان.

ص: ۲۰

۲. أو نذر الإحرام من بلده أو من الطریق قبل الوصول إلی جدّة بمقدار معتد به، ولو فی الظاهر فیُحرم من محل نذره.

۳. الذهاب إلی- رابغ- الذی هو فی طریق المدینة والإحرام منه بنذر، باعتبار أنّه قبل الجحفة التی هی أحد المواقیت.

۴. إذا لم یمکن المضی إلی أحد المواقیت ولم یحرم قبل ذلک بنذر، لزمه الإحرام من جدة بالنذر، ثمّ یجدد إحرامه خارج الحرم قبل دخوله فیه (۱).

ویلاحظ علی ما أفاده بأُمور:

أوّلًا: إنّ إلزام الذهاب إلی أحد المواقیت مع الإمکان بلا ملزم، لما مرّ من أنّ الروایات الدالة علی لزوم الإحرام من المواقیت التی وقّتها رسول الله (صلی الله علیه وآله) ناظرة إلی من کان من أهل هذه المواقیت أو کان ممن یجتازها، وأمّا من سلک طریقاً لا یؤدّی إلی أحدها فلا دلیل علی لزوم الذهاب إلی المواقیت.

۱- المعتمد ۳۲۴: ۳، ولاحظ المناسک.

ص: ۲۱

ثانياً: إنّ نـذر الإـحرام من بلـده أو من الطريق قبـل الوصول بمقـدار معتـد به أو فى الطـائرة، وإن كان يحلُّ مشـكلة إحرام، لكن يبقى الإشكال فى الاستظلال بعده بسقف الطائرة ونحوها إذا كان الطيران فى النهار أو فى الليالى الممطرة أو ذات الرياح العاصفة.

وجه الإشـكال، إنّ حقيقـة الإحرام عبارة عن العزم على ترك المحرمات فكيف يجتمع ذلك العزم الجدى، مع العلم بنقضه فى الطريق أو قبل ركوب الطائرة، ونحو ذلك، وهذه مشكلة يجب التخلص منها على نحو لا يصادم حقيقة الإحرام الذى هو أمر قلبى قائم بالجزم والنية.

أضف إلى ذلك أنّ هذا الاقتراح، لا ينفك عن وجوب الفدية عليه، وهو تكليف زائد وتحميل عليه وهو رهن الدليل.

ثالثاً: إنّه إذا تمكن من الـذهاب إلى رابغ يتمكن غالباً من الـذهاب إلى الجحفة، فإنّها بمقربة من رابغ، والطريق، معبّد، ذلول، والمسافة قليلة جداً.

رابعاً: إذا لم يمكن المضىّ إلى أحد

ص: ۲۲

المواقیت ولم یحرم قبل ذلک بنذر، فقد أفتی بلزوم الإحرام من جدة بالنذر، ثمّ یجدد إحرامه خارج الحرم قبل دخوله فیه.

ولم یعلم وجهه، لأنّ المورد خارج عن مصب روایات النذر، لأنّ مورد روایاته (۱) هو نذر الإحرام قبل المیقات، ثمّ اجتیازه والمرور به، وأین هو من المفروض، وهو نذر الإحرام قبل الدخول فی الحرم ثمّ الدخول فیه مُحْرماً، وقد ثبت فی محله أنّه لا یمکن تحلیل الحرام- تکلیفاً أو وضعاً- بالنذر والیمین والعهد، والإحرام قبل المیقات، أو بعده حرام تکلیفاً وباطل وضعاً، خرجت منه صورة واحدة، وهو نذره قبل المیقات، ثمّ المرور به محرماً، والصور الأُخری باقیة تحت المنع.

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱۲ من أبواب المواقیت، الحدیث ۱- ۳.

ص: ۲۳

الحج رموز، وحكم

آية الله عبدالله جوادى آملى- ترجمة: حيدر حبّ الله

لابدّ لكلّ إنسان من دين إلهى، ولا دين كذلك سوى الإسلام إنّ الدين عند الله الإسلام (۱)

، كما لا يُقبل دين عداه، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه (۲)

، فالإسلام هو الدين الوحيد الجامع النازل من جانب الحقّ تعالى، والمشتمل على تمام الكمالات الإنسانيّة، والمهيمن على الأديان الباطلة كافّة، وهو الديانة الفريدة القابلة للإجراء والتطبيق لتكون مورداً لاستفادة الإنسان.

وبناءً عليه، لابد لهذا الدين أن يحوى

۱- آل عمران: ۱۹.

۲- آل عمران: ۸۵.

ص: ۲۴

برامج وآليات يمكن توظيفها والاستفادة منها عبر التاريخ، وتظهر وتنجلى فى مناخ تعالى الإنسانيّة انجلاءً كاملًا وتاماً.

الشمولية والدوام من أكبر أوصاف الإسلام وأهمّها، أى إنّه يستوعب فى داخله أفراد الإنسان كافّة من السود والبيض والحمر وسائر الأعراق و ... كما يستوعب امتداد الزمان، فى ماضيه ومستقبله، إلى يوم القيامة.

وللإسلام، بوصفه أمراً إلهيّاً غالباً على الزمان والحركة والمادّة مصوناً من الزوال والاندثار، علّةٌ تامّة مثله فى ذلك مثل سائر الممكنات، وهذه العلّة التامّة مكوّنةٌ من علّتين إحداهما العلّة الفاعلة والأخرى العلّة القابلة، فالعلّة القابلة للإسلام هى الإنسان نفسه، والإنسان إنسان لا يتغيّر ولا يتبدّل بما جبل عليه من الفطرة الخاصّة والطينة المخصوصة فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق‌الله (۱)

. وأمّا العلّة الفاعلة له فهى الله الذى لا

۱- الروم: ۳۰.

ص: ۲۵

تناله يـد التغييرات ولا تحظى بكرامته شـباك التحوّلات، فإنّ ذاته منبع الحياة والنور والعلم والقدرة، ولا سبيل فيها أبداً للموت والظلمة والجهل والاعترال، فهى الـذات العليمـة- إذن- بمصالـح الإنسان ومفاسـده، والأقدر على تعليمه وهدايته إلى المدارج الرفيعة وتحذيره من السقوط فى المهاوى السحيقة، وتبيين درجاتها والإعلام بدركاتها.

على هذا الأساس، فإنّ سرّ عالميّة الإسلام يكمن فى:

أوّلًا: إنّ نزوله كان لتفتيح براعم الفطرة الإنسانيّة، تلك الفطرة التى لا ترتهن لأرض خاصّة ولا لتاريخ معيّن، كما لا مسير زمنىّ لها، بل لا- تنالهـا التـأثيرات العرقيّـة والقوميّـة ولا الظواهر الجغرافيّـة، ومن هنا تمثل البنيـة التحتيّـة الراسـخة للتربيـة، والأساس المحكم للإرشاد والتعليم.

ثانياً: إنّ معلّم الإنسان ومربّى البشـريّة هو الإله الذى لا رخصة للجهل فى الولوج إلى حريم علمه المطلق اللامتناهى، ولا فسـحة للسـهو والنسيان إلى حرم أمن

ص: ۲۶

حضوره وشهوده الدائم. من هنا كان الدين المرضيّ عنده هو الأساس الثابت والبناء الدائم الذى لا يعرف الزوال فى هداية المجتمعات الإنسانيّة جمعاء.

ص: ۲۷

الحجّ النيابى

محسن الأسدى

حظيت فريضة الحج بمكانة كبيرة فى الشريعة الإسلامية المباركة، فى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله وأحاديث و أقوال أئمة أهل بيت العصمة والطهارة، وكذلك فى آراء أئمة المذاهب الإسلامية وأقوال فقهائها وعلمائها، كما نالت اهتمام المسلمين قاطبة، فراحوا يؤُمّون ديار الله المقدسة فى مكة، لأداء مناسك هذه الفريضة المقدسة، تلبيةً للأذان الأول الذى رفعه نبىّ الله إبراهيم الخليل (ع) بأمر من السماء: وأذن فى الناس بالحج

ص: ۲۸

یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامر یأتین فی کلّ فجّ عمیق لیشهدوا منافع لهم و یذکروا اسم الله فی أیّام معلومات علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکلوا منها وأطعموا البائس الفقیر ثم لیقضوا تفثهم ولیوفوا نذورهم ولیطوفوا بالبیت العتیق (۱).

لیحققوا هذه الأهداف الکبیرة فی موسم معین وفی مکان أو أماکن محدّدة، ولیؤدّوا فریضةً عظیمةً أرادتها السماء وفرضتها علیهم وألزمتهم بعدم التخلف عنها، لله علی الناس حجّ البیت من استطاع إلیه سبیلًا (۲).

فالحجّ رکن من أرکان الدین، وفرع فی الفروع الواجبة وضرورة وعبادة اتفقت علی وجوبها ووجوب أدائها الفرق الإسلامیة کافّة، وجعلت من ینکرها أو یتعمد التخلف عن أدائها، مع توفر الشروط فیه، داخلًا تحت ومن کفر فإنّ الله غنیّ عن العالمین (۳).

۱- الحج: ۲۷- ۲۹.

۲- آل عمران: ۹۷ وأتموا الحجّ والعمرة لله.

۳- آل عمران: ۹۷.

ص: ۲۹

ونظراً للمنزلـة العظيمة لهذه الفريضة ولمناسـكها، ولرغبة السـماء فى أن لا يخلو هذا البيت المبارك والبقاع المباركة من أدائها، فتحت لذوى الأعذار- وحتى للأموات- من المؤمنين باباً آخر لأداء هذه الفريضة، فالشـريعة راحت تلاحق أصـحاب الأعذار والذين يعجزون عن أداء مناسك هذه الفريضة بسـبب الأمراض وغيرها مع توفر الاسـتطاعة المالية لهم، بل ولاحقت حتى الذين يتوفون منهم ولم يكن بمقـدورهم أداؤها أو أنّهم تخلّفوا عنها أو عن بعض مناسـكها بعـذر أو بغير عذر، فتحت لكلّ هؤلاء- رجالًا ونساء وخناثى- باباً سـمّته بـاب النيابـة، وأمرتهم بـأن ينيبوا من يؤدّى عنهم هـذه الفريضـة، وجعلت ثوابـاً عظيمـاً للنـائب تشـجيعاً له، وأنّهـا إذا ما أُدّيت صـحيحةً بشـروطها وأحكامها من قبل النائب، تكون مجزيـة عن الأصـيل (المنوب عنه)، ولا تفرغ ذمته إلّا بأدائها مادامت الاسـتطاعة قد تحققت عنده.

وللنيابة أحكامها وشروطها و

ص: ۳۰

مشـروعيتها، هذا ما تناولته الأحاديث الشـريفة لرسول الله ولأئمة أهل البيت ونقلته ألسنة الصحابة والتابعين، واكتظّت بها كتبُ الفريقين (الإمامية وأهل السنة) وأعلنت على أساسها آراؤهم الفقهية وأقوالهم فى مشروعيتها وما يترتب عليها من أحكام وآداب ... وهانحن فى مقالتنا هـذه نتعّرض إلى فضـلها وثوابها، وأدلة مشـروعيتها، وشـىء من أحكامها عند المذاهب الإسـلامية، آملين أن يكون هذا البحث مختصراً نافعاً قدر الإمكان، مستفيداً فيه مما تيسّر لى من مصادر الحديث والفقه.

وقبل أن نبـدأ الكلام عن النيابـة، مشـروعيّتها، شـروطها، أحكامها، نـذكر فضل الحـج نيابةً، و ماجاء فيه من أحاديث مباركة تدعو إليه وتحضّ عليه وتبين ثوابه، وما أعدّه الله تعالى للعاملين فى هذا الخصوص.

- فعن رسول الله: إنّ الله عزّوجلّ يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نفر الجنة: الميت، والحاجّ عنه، والمنفذ ذلك.

ص: ۳۱

- وعنه: حجّة للمیت ثلاثة: حجّة للمحجوج عنه، وحجّة للحاج، و حجّة للموصی.

- وعنه: من حجّ عن میت کتبت عن المیت و کتب للحاجّ براءةٌ من النار.

- وعن ابن مسکان عن أبی عبدالله (ع): قلت له: الرجل یحجّ عن آخر، ماله من الأجر والثواب؟

قال: للذی یحجّ عن رجل أجر وثواب عشر حجج.

- وعن الفضل بن شاذان الهروی: ذُکر لی کثرة ما یحجّ المحمودی- وهو من أصحاب

ص: ۳۲

الأئمة- فسألته عن مبلغ حجّاته، فلم يخبرنی بمبلغها، وقال: رزقت خيراً كثيراً والحمد لله.

قلت له: فتحجّ عن نفسك أو عن غيرك؟

فقال: عن غيری، بعد حجّة الإسلام أحجّ عن رسول الله، وأجعل ما أجازنی الله عليه لأولياء الله، وأهب ما أثاب علی ذلك للمؤمنين و المؤمنات.

قلت: فما تقول فی حجّك؟

فقال: أقول: اللهم إنی أهللت لرسولك محمّد وجعلت جزائی منك ومنه لأوليائك الطاهرين، ووهبت ثوابی لعبادك المؤمنين والمؤمنات بكتابك وسنة نبيك.

- وعن عبدالرحمن بن سنان: كنت عند أبی عبدالله (ع) إذ دخل عليه رجل، فأعطاه ثلاثين ديناراً يحجّ بها عن إسماعيل، ولم يترك شيئاً من العمرة إلی الحج إلّا اشترطه عليه، حتی اشترط عليه أن يسعی عن وادی محسّر، ثمّ قال: يا هذا، إذا أنت فعلت هذا كان لإسماعيل حجّة بما أنفق من ماله، وكان لك تسع بما أتعبت من بدنك.

- الشيخ الصدوق: سئل الصادق (ع) عن

ص: ۳۳

الرجل يحجّ عن آخر، أله من الأجر والثواب شىء؟

فقال: للذى يحجّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج، و يغفرله ولأبيه ولأمّه ولابنه ولابنته ولأخيه ولأخته ولعمّه ولعمّته ولخاله ولخالته، إنّ الله واسع كريم.

بعد هذا، ننتقل إلى معرفة آراء فقهاء المسلمين من الفريقين، وما توفر لدى الفريقين من أحاديث استندت عليها أقوالهم:

الإمامية

ذهب فقهاء الإمامية إلى أنّه لا إشكال فى صحّة النيابة:

أ- عن الميت فى الحج الواجب و المندوب، بضرورة من المذهب إن لم تكن من الدّين، ولنصوص مستفيضة نأتى على ذكر بعضها.

ب- عن الحىّ فى الحجّ المندوب مطلقاً، وفى الواجب فى بعض الصور، وتتخذ النيابة مشروعيتها من الإجماع، والنصوص الحديثية المستفيضة التى نذكر بعضها:

روى عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم أنّه قال: «سألت أبا جعفر (ع) عن رجل

ص: ۳۴

مات ولم يحج حجّة الإسلام، ولم يوص بها، أيقضى عنه؟

قال: نعم».

وروى عن معاوية بن عمار أنّه قال: «سألت أبا عبدالله (ع) عن امرأة أوصت بمال فى الصدقة والحجّ والعتق.

فقال: إبدأ بالحجّ فإنّه مفروض، فإن بقى شىء، فاجعل فى الصدقة طائفة، وفى العتق طائفة».

وروى عن هارون بن حمزة الغنوىّ عن أبى عبدالله (ع): «فى رجل مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، ولم يترك إلّا قدر نفقة الحج وله ورثة.

قال: هم أحقّ بميراثه إن شاؤوا أكلوا، وإن شاؤوا حجّوا عنه».

وروى عن حارث بياع الأنماط أنّه: سئل أبو عبدالله (ع): «عن رجل أوصى بحجّة، فقال: إن كان صرورة، فهى من صلب ماله إنما هى دَين عليه، و إن كان قد حجّ، فهى من الثلث».

وعن رجل يموت فى طريق الحج، روى علىّ بن رئاب عن ضريس عن أبى جعفر (ع): «فى رجل خرج حاجّاً حجّة الإسلام فمات فى

ص: ۳۵

الطريق.

فقال: إن مات فى الحرم، أجزأت عنه حجّة الإسلام، وإن كان مات دون الحرم، فليقض عنه وليّه حجّة الإسلام».

وفى روايـة أخرى عن علىّ بن رئـاب عن بريـد العجلىّ بهـذا المورد، قـال: «سـألت أبـا جعفر (ع) عن رجل خرج حاجّاً، ومعه جمل له ونفقة وزاد، فمات فى الطريق.

قال: إن كان صـرورة ثمّ مات فى الحرم، فقـد أجزأت عنه حجة الإسـلام، وإن كان مات وهو صـرورة قبل أن يحرم، جعل جمله وزاده ونفقته وما معه فى حجّة الإسلام، فإن فضل من ذلك شىء فهو للورثة إن لم يكن عليه دَين.

قلت: أرأيت إن كانت الحجّة تطوّعاً، ثمّ مات فى الطريق قبل أن يحرم، لمن يكون حجّه ونفقته وما معه؟

قـال: يكون جميع مـا معه وماترك للورثـة، إلّا أن يكون عليه دَين فيقضـى عنه، أو يكون أوصـى بوصـية فينفـذ ذلك لمن أوصـى له، ويجعل ذلك من ثلثه».

وسئل أبوعبدالله (ع) «عن رجل مات وله

ص: ۳۶

ابن فلم يدر حجّ أبوه أم لا؟

قال: يحجّ عنه، فإن كان أبوه قد حجّ، كتب لأبيه نافلة وللابن فريضة، وإن لم يكن حجّ أبوه، كتب لأبيه فريضة وللابن نافلة» (۱).

وفى صحيح ابن عيسى قال: «بعث إلىّ أبوالحسن الرضا (ع) رزم ثياب، وغلماناً، وحجّة لى، وحجّة لأخى موسى بن عبيد، وحجّة ليونس بن عبدالرحمن، وأمرنا أن نحجّ عنه، فكانت بيننا مائة دينار أثلاثاً فيما بيننا».

إلى غيرها من الروايات التى ستأتينا طىّ البحث.

هذا وتصحّ النيابة هذه بأمور:

۱- التبرع.

۲- الإجارة.

۳- الجُعالة.

لظهور الإطلاق- كما يقول السيد السبزوارى+- والاتفاق، وأنّ المدار على إتيان العمل بأىّ وجه حصل، وأنّ ذمة

۱- انظر من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ۲۸۰: ۲- ۲۸۴، وسائل الشيعة، باب ۳۴ من أبواب نيابة الحج.

ص: ۳۷

الأصيل (المنوب عنه) لا تفرغ إلا بإتيان النائب للعمل صحيحاً، وهو ما تقتضيه قاعدة أنّ الاشتغال اليقينى يقتضى الفراغ اليقينى، فإذا كان على الميت حجّ واجب، واستؤجر شخص لأدائه، فلا تبرأ ذمة الميت بمجرّد ذلك، وإنما ترتبط براءة ذمته بأداء الأجير للحج على الوجه الصحيح، و كذلك الحال فى الحى الذى وجب عليه أن يستنيب شخصاً ليحج عنه.

وعلى هذا الأساس، لابدّ أن يكون الأجير مأموناً على أداء الحج، و التعرف على واجباته وأحكامه، وجديراً بالثقة والاعتماد، وإن كان عادلًا- إضافة إلى وثاقته ومعرفته- فهو أحسن وأفضل، كما يقول السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه.

شروط النائب

ذكر الفقهاء شروطاً يجب توفرها فى النائب- سواء أكان متبرعاً بالنيابة عن الأصيل أم كان مستأجراً من قبله- فإذا لم تتوفر هذه الشروط فى النائب لا يصحّ حجّه وهى:

ص: ۳۸

الأول: البلوغ، فلا يجزى حـجّ الصبىّ- ولوكان مميزاً- عن غيره فى حجّة الإسـلام وغيرها من الحج الواجب، وتصحّ نيابة الصبى المميز عن غيره فى الحج المندوب إذا أذن له الولى به.

الثانى: العقل، فلا تصـحّ نيابـة المجنون الـذى لا يتحقق منه القصـد بالضـرورة بين الفقهاء، بل العقلاء؛ لعـدم اعتماد الجميع على أفعال المجـانين، خصوصاً فى مثل هـذا العمل الـذى له أحكام كثيرة و موضوعات مختلفـة. ولا فرق فى كون جنونه مطبقاً- أى مسـتمراً- أو أدوارياً- أى الذى يصاب بالجنون أحياناً- إذا كان العمل فى حالة جنونه، وأما السفيه فلا بأس باستنابته.

الثالث: الإيمان، لعدم صحّة عمل غير المؤمن.

الرابع: عدم اشـتغال ذمة النائب بحجّ واجب عليه فى ذلك العام، فلا تصحّ نيابة من وجب عليه حجة الإسلام، أو النذر الضيق مع تمكنه من إتيانه، و أما مع عدم تمكنه لعدم وجود المال، فلا بأس.

ص: ۳۹

فلو حجّ عن غيره مع تمكنه من الحج لنفسه بطل على المشهور، وإن ذهب بعضهم إلى أنّ هذا الشرط إنما هو لصحة الاستنابة والإجارة، وإلّا فالحج صحيح، وإن لم يستحق الأجرة، وتبرء ذمة المنوب عنه على ما هو الأقوى. فيما ذهب بعض آخر إلى أنّ هذا الإنسان المكلف بالحج فى سنة النيابة لم يجز له إهمال ماهو واجب عليه من أجل أن يحج نيابة عن غيره، ولكن إذا صنع ذلك إهمالًا- لا جهلًا منه بوجوب الحج عليه- تصحّ نيابته وحجته النيابيّة وأن الإجارة لا تسوغ إذا كان الشخص المكلف بالحج عالماً بأنه مكلف وملتفتاً إلى ذلك.

أما إذا وقعت مثل هذه الإجارة أو

ص: ۴۰

أدى الأـجير الحـج نيابـة فهو يسـتحق- على رأى هـذا الفريق- الأجرة التى يتقاضاها الأجراء عادة للقيام بمثل ذلك العمل، وإذا كانت الأجرة المحددة فى الإجارة أكثر من ذلك لم يكن له المطالبة بالزائد؛ لأنّ الإجارة باطلة.

ولابـدّ أن يكون هذا النائب متمكناً من واجبات الحج كافّة، وأما إذا كان معذوراً فى بعضـها- لمرض أو غير ذلك- فليس من المعلوم أنّ نيابته عن غيره فى الحج الواجب كافية- كما يقول السيد الشهيد الصدر+ فىفتاويه- وعليه أن يستأجر لأداء الحج الواجب عن غيره، و إذا بادر وتبرع بأدائه عن الغير فلا يكتفى بذلك.

ولا تشترط المماثلة بين النائب و المنوب عنه فى الذكورة والأنوثة، فتصحّ نيابة المرأة عن الرجل وبالعكس.

ولا فرق فى النائب بين أن يكون قد حجّ سابقاً أو لم يحج، وهناك من اشترط عدالة النائب، أو الوثوق بصـحة عمله، وهذا الشرط إنما يعتبر فى جواز الاستنابة لا فى صحّة عمله، فيما ذهب السيد السبزوارى

ص: ۴۱

+ فی موضوع العدالة إلی أنّ المناط إحراز صحة عمله- بحسب القواعد الشرعیة کقاعدة الصحة ونحوها- ولو کان فاسقاً، ومع عدم الإحراز لایجوز ولوکان عادلًا.

واشترط بعض معرفة النائب بأفعال الحج وأحکامه، وإن کان بإرشاد معلّم حال کلّ عمل.

ویقول السید السبزواری: یمکن عدّ هذا الشرط من شرائط العمل المستأجر علیه، کما یمکن عدّه من شرائط العامل، لأنّه من الأمور الإضافیة المتقوّمة بالطرفین، وعلی أی تقدیر فالدلیل علیه- مضافاً إلی الإجماع- لزوم کون الأجیر قادراً علی إتیان العمل المستأجر علیه، ومع عدم المعرفة کیف یقدر علیه؟!

وهذه بعض الروایات بخصوص الاشتراط فی النائب أن لا یکون علیه حجّ واجب، وحکم من حج نائباً مع وجوب الحج علیه، وأیضاً فی جواز استنابة الصرورة مع عدم وجوب الحج علیه.

- فعن محمّد بن یعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن سعد بن أبی خلف قال: سألت أبا الحسن موسی (ع) عن

ص: ۴۲

الرجل الصرورة يحج عن الميت؟

قال: نعم، إذا لم يجد الصرورة ما يحج به عن نفسه، فإن كان له ما يحج به عن نفسه، فليس يجزى عنه حتى يحج من ماله، وهى تجزى عن الميت، إن كان للصرورة مال، و إن لم يكن له مال.

- وعن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى عبد الله (ع) فى رجل صرورة مات ولم يحج حجة الإسلام وله مال.

قال: يحج عنه صرورة لا مال له.

- وعن محمّد بن على بن الحسين بإسناده عن سعيد بن عبد الله الأعرج، أنه سأل أبا عبد الله (ع): الصرورة أيحج عن الميت؟

فقال: نعم، إذا لم يجد الصرورة ما يحج به، فإن كان له مال، فليس له ذلك حتى يحج من ماله، وهو يجزى عن الميت كان له مال أو لم يكن له مال (۱).

وفى خصوص عدم اشتراط المماثلة، روى عن بشير النبّال أنّه قال: قلت لأبى عبد الله (ع): «إنّ والدتى توفيت ولم تحجّ.

۱- انظر وسائل الشيعة، باب ۵ من أبواب الحج.

ص: ۴۳

قال: يحجُّ عنها رجل أو امرأة.

قلت: أيّهم أحبّ إليك؟

قال: رجل أحبّ إلى».

وعن معاوية بن عمار أنّه قال: قلت لأبى عبد الله (ع): الرجل يحجّ عن المرأة، والمرأة تحجّ عن الرجل.

قال: لا بأس.

وعن أبى عبد الله (ع) فى المرأة تحج عن الصرورة، فقال (ع): إن كانت قد حجّت، وكانت مسلمة فقيهة، فرُبّ امرأة أفقه من رجل (۱).

هذا، وقد اشترط فى المنوب عنه أن يكون مسلماً، فلا تصحّ النيابة عن الكافر، لا لعدم انتفاعه بالعمل عنه، لمنعه وإمكان دعوى انتفاعه بالتخفيف فى عقابه، بل لانصراف الأدلة، فلو مات مستطيعاً، وكان الوارث مسلماً، لا يجب عليه استئجاره عنه.

وبعد أن استعرض السيد السبزوارى+ أدلة ذلك، وهى الإجماع المتسالم بينهم، وما تقتضيه غريزة الاختلاف الدينى

۱- الوسائل، باب ۶ من أبواب النيابة فى الحج.

ص: ۴۴

والمذهبى.

استدل عليه أيضاً بأمور أخرى:

فتارةً بأنّه لا ينتفع بالعمل.

وأخرى بانصراف الأدلة عنه.

وثالثة بقوله تعالى: وماكان للنبىّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى (۱).

ورابعة: بقوله أيضاً: وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى (۲).

وخامسة: بأنّ فعل النائب تابع لفعل المنوب عنه فى الصحة والفساد.

وبعد استعراضه لهذه الأدلة قال: والكلّ باطل، لإمكان حصول النفع فى الدنيا أو البرزخ أو تخفيف العذاب فى الآخرة، ولا وجه للانصراف، ولو كان فهو بدوىّ.

والآية الأولى فى مقام بيان أنّ الاستغفار لا ينفع المشرك عن الخلود فى النار، وأنّه نوع موادّة لمن حارب الله ورسوله، وليست فى مقام عدم النفع أصلًا

۱- التوبة: ۱۱۳.

۲- النجم: ۳۹.

ص: ۴۵

ولو بنحو الجملة والإجمال.

وحيث إنّ عمل النائب كعمل المنوب عنه، فكأنّه من سعى نفس الإنسان، فيشمله إطلاق الآية.

وأما الأخير فلا دليل على الملازمة من عقل أو عرف أو شرع (۱).

و يشترط فى المنوب عنه أيضاً كونه ميتاً، أو حيّاً عاجزاً فى الحج الواجب. فلا تصحّ النيابة عن الحىّ فى الواجب، إلّا إذا كان عاجزاً. وأما فى الحج الندبىّ، فيجوز عن الحى والميت، تبرعاً أو بالإجارة، ولايُناب إلّا إذا استقرت عليه حجّة الإسلام، ولم يؤدها إلى أن مات، أو كان موسراً وعجز عن مباشرة الحج بنفسه.

وأما فى الحج المستحب، فتسوغ الاستنابة فيه عن الأموات والأحياء على السواء، شريطة أن يكون المنوب عنه مسلماً، ولافرق فى النيابة على العموم بين أن يكون المنوب عنه طفلًا مميزاً أو بالغاً، مجنوناً، إذا استقر عليه حال إفاقته ثمّ

۱- انظر مهذب الأحكام، للسيد السبزوارى ۲۳۶: ۲ المتن والهامش.

ص: ۴۶

مـات مجنونـاً- لإطلاـق الأدلـة الدالـة على وجوب إخراج الواجبات الماليـة عن أصل التركـة بعـد تعلق الوجوب فى حال الحياة جامعاً للشرائط- أو كان عاقلًا، شيعياً كان أو سنياً، فتصحّ النيابة عن هؤلاء جميعاً.

ومن أحكامها أو شـروطها، قصد النيابة، وتعيين المنوب عنه فى النية، ولو بالإجمال، ولايشترط ذكر اسمه، وإن كان يستحب ذلك فى جميع المواطن والمواقف، وهنا يقول السـيد السبزوارى- تتميماً لهذا الحكم وتفصيلًا لدليله الذى ذكره الماتن-: أما اشتراط القصد فى النيابة؛ فلأنّها من العناوين القصدية المتوقفة عليه.

ص: ۴۷

وأما كفاية الإجمالى منه، فلعدم دليل على اعتبار الأزيد، بل مقتضى الإطلاقات، والأصل عدمه، كما أنّ مقتضاها عدم اعتبار ذكر اسمه أيضاً، وفى الصحيح:

«إنّ رجلًا سأل أبا الحسن الأول (ع) عن الرجل، يسميه باسمه؟

فقال (ع): إنّ الله لا تخفى عليه خافية».

وأما استحباب ذلك، فلصحيح ابن مسلم عن أبى جعفر (ع) «قلت له: ما يجب على الذى يحجّ عن الرجل؟

قال (ع): يسميه فى المواطن والمواقف».

المحمول على الندب جمعاً وإجماعاً.

ومن أحكام النيابة: إذا مات النائب قبل الإتيان بالمناسك فهنا صور ثلاث:

الأولى: أن يكون موته قبل الإحرام، وهنا لا يجزى عن المنوب عنه، لكون الأصل عدم فراغ ذمة المنوب عنه إلا بالإتيان.

الثانية: أن يكون موته بعد الإحرام ودخول الحرم وهنا يجزى عنه، فقد روى

ص: ۴۸

ابن عمار فی الموثق: «سألته عن الرجل یموت فیوصی بحجة، فیعطی رجل دراهم یحج بها عنه، فیموت قبل أن یحج، ثمّ أعطی الدراهم غیره، فقال (ع): إن مات فی الطریق أو بمکّة قبل أن یقضی مناسکه، فإنه یجزی عن الأول ...» (۱).

المؤیدة بمرسلة حسین بن عثمان عن أبی عبد الله (ع): «فی رجل أعطی رجلًا ما یحجه، فحدث بالرجل حدث، فقال: إن کان خرج فأصابه فی بعض الطریق، فقد أجزأت وإلّا فلا».

والمرسلة الثانیة، عنه (ع) أیضاً: «فی رجل أعطی رجلًا مالًا یحج عنه فمات، قال: فإن مات فی منزله قبل أن یخرج فلا یجزی عنه، وإن مات فی الطریق فقد أجزأ عنه».

الدالة علی أنّ النائب إذا مات فی الطریق أجزأ عن المنوب عنه، المقیدة بمرسلة محمّد بن محمّد بن النعمان المفید فی المقنعة قال: قال الصادق (ع): «من خرج حاجّاً فمات فی الطریق فإنّه إن کان مات

۱- الوسائل، باب ۱۵ من أبواب النیابة فی الحج.

ص: ۴۹

فی الحرم، فقد سقطت عنه الحجة، فإن مات قبل دخول الحرم، لم یسقط عنه الحج، ولیقضی عنه ولیه»، ولا فرق فی هذا الحکم بین الحج النفسی الذی یؤدیه صاحبه والحج النیابی الذی یؤدیه النائب، فالروایة شاملة للحاج عن غیره أیضاً، ولا یعارضها موثقة عمار عن الصادق (ع): «فی رجل حج عن آخر ومات فی الطریق، قال (ع): وقد وقع أجره علی الله، ولکن یوصی، فإن قدر علی رجل یرکب فی رحله ویأکل زاده فعل».

الدالة علی أنّ النائب إذا مات فی الطریق علیه أن یوصی، لأنّها محمولة علی ما إذا مات قبل الإحرام، أو علی الاستحباب، وهو- أی الاستحباب- من أحسن طرق الجمع بینهم.

الثالثة: أن تدرکه الوفاة بعد الإحرام وقبل دخول الحرم، وفی الإجزاء هنا قولان:

القول الأوّل: الإجزاء؛ وقد نسب هذا إلی الشیخ وادّعی فی (خلافه) الإجماع علیه، ولکنه- کما یقول صاحب مهذب الأحکام- موهون بدعوی الإجماع عن غیره علی خلافه.

وذهب بعض- کما علیه الماتن فی مهذب

ص: ۵۰

الأحكام- إلى عدم أبعدية الإجزاء وإن لم يقل به فى الحاج عن نفسه، مستنداً فى قوله هذا إلى إطلاق الأخبار فى المقام، والقدر المتيقن من التقييد هو اعتبار كونه بعد الإحرام، ومع هذا فإنّ صاحب هذا القول يختار أقوائية.

القول الثانى: وهو عدم الإجزاء، لأنّ الاشتغال اليقينى يقتضى الفراغ اليقينى، وظهور الإجماع، وللمرسلة: «من خرج حاجاً فمات فى الطريق، فإنّه إن كان مات فى الحرم فقد سقطت عنه الحجّة».

كما أنّ من يحج عن نفسه إن مات قبل دخول الحرم، لا يجزى عن حجّه، فكيف نقول به فى النائب مع عدم دليل معتبر للفرق بينهما؟! كما يقول صاحب مهذب الأحكام (۱).

۱- انظر مهذب الأحكام المتن والهامش ۲۴۱: ۱۲- ۲۴۳.

ص: ۵۱

أهل السنة

بعد أن استعرض جمع من فقهاء أهل السنة العبادات، معدّدين أنواعها- ونحن نذكرها باختصار- ذكروا ما تصحّ فيه النيابة دون غيره.

أولًا: العبادات المالية المحضة، وهى كالزكاة والكفارة وتوزيع الأضاحى، فإنّ هذه تجوز النيابة فيها عندهم بالاتفاق، وفى كلتا الحالتين: حالة الاختيار وحالة الضرورة، معللين ذلك بأنّ المقصود منها هو انتفاع أهلها بها، و الانتفاع حاصل منها سواء أكان بالأصيل و مباشرته أو بنائبه.

ص: ۵۲

ثانياً: العبادات البدنيـة المحضـة وهى كالصـلاة والصوم، ولأنّ المقصود من هـذه العبادات إتعاب النفس، وإتعاب النفس لا يحصل إلّا بمباشرة الأصيل المكلف، ولا يتحصل بالنائب فلا يجوز النيابة فيها.

ثالثاً: العبادات المالية والبدنية، أى أنّها مركبة من الاثنين معاً، كفريضة الحج التى نحن بصددها، وقد اتفقت كلمة مذاهب أهل السـنة- عدا المالكية- على جواز النيابة فيها بشرطين:

العجز أو الضرورة.

فعند العجز تجوز النيابة، وتجوز عند الضـرورة أيضاً، فالمشقة المقصودة- كما يقولون- تحصل بفعل النفس، وتحصل بفعل الغير أيضاً إذا كان بماله- أى مال الأصيل- فالمشقة تحصل للأصيل المكلّف تارةً بنفسه وأخرى بماله.

وهذه العبادات عندهم تختلف عن الصلاة باشتمالها على القربة المالية غالباً بالإنفاق فى الأسفار.

أما المذهب المالكى، فعلى الصحيح عنده لا تجوز النيابة عن الحى فى حجّ الفرض أو النفل، بأجرة أو لا، كما أنّ

ص: ۵۳

الإجارة فيه فاسدة؛ لأنّه عمل بدنى لا يقبل النيابة شأنه شأن الصلاة والصوم فهو من العبادات البدنية المحضة، والمقصود منه تأديب النفس بمفارقة الأوطان وتهذيبها بالخروج عن المعتاد، من لبس المخيط وغيره؛ لتذكر المعاد والآخرة والقبر، وتعظيم شعائر الله فى تلك البقاع، وإظهار الانقياد من الإنسان لما لم يعلم حقيقته، كرمى الجمار، والسعى بين الصفا و المروة وغيرهما، وهذه مصالح ومقاصد لا تتحقق إلّا لمن باشرها بنفسه.

وحتى الميت- عندهم- إذا أوصى بالحجّ يصحّ عنه مع الكراهة، ويكره التطوع عنه بالحج (۱).

بعد هذا نعود إلى آراء فقهائهم وأقوالهم بخصوص هذا الموضوع.

أقوال فقهاء أهل السنّة

قالت الحنفية: من لم يجب عليه الحج بنفسه لعذر كالمريض ونحوه، وله مال،

۱- انظر فى هذا كلًّا من فتح القدير ۳۰۸: ۲ وما بعدها، والبدائع ۲۱۲: ۲ ومابعدها، والقوانين الفقهية: ۱۲۸، ومغنى المحتاج ۴۶۸: ۱، ومتن الإيضاح: ۱۷، وغاية المنتهى ۲۵۸: ۱ وغيرها.

ص: ۵۴

يلزمه أن يحج رجلًا عنه، ويجزئه عن حجّة الإسلام، أى أنّه تجوز النيابة فى الحج عند العجز فقط لا عند القدرة، بشرط دوام العجز إلى الموت، وأما المقصر الذى مات فتصحّ منه بل تجب الوصية بالإحجاج عنه ويكون من بلده، إن لم يعين مكاناً آخر، فهنا حالتان:

- العجز.

- وبعد الموت بالوصية.

أما المعتمد عند المالكية فهو: إنّ النيابة عن الحى لا تجوز، ولا تصحّ مطلقاً إلّا عن ميت أوصى بالحج، فتصح النيابة مع الكراهة وتنفذ من ثلث ماله، ولا حجّ على المعضوب إلّا أن يستطيع بنفسه للآية: من استطاع إليه سبيلًا، وهذا غير مستطيع.

وأما الشافعية: فقد أجازوا الحجّ عن الغير فى حالتين:

الحالة الأولى: حالة المعضوب: وهو العاجز عن الحج بنفسه لكبر أو زمانة أو غير ذلك، و هو الذى لا يثبت على الراحلة، بل يلزمه الحج إن وجد من يحج عنه بأجرة المثل بشرط كونها فاضلة عن

ص: ۵۵

حاجاته المذكورة فيمن حجّ بنفسه، لكن لا يشترط نفقة العيال ذهاباً وإياباً؛ لأنّه مستطيع بغيره، لأنّ الاستطاعة كما تكون بالنفس، تكون ببذل المال وطاعة الرجال، فيجب على من عجز عن الحج بنفسه- لهرم أو مرض لا يرجى برؤه- الاستنابة إن قدر عليها بماله أو بمن يطيعه بأن كان متبرعاً موثوقاً به.

الحالة الثانية: وهى حالة من يأتيه الموت ولم يحج، فيجب على ورثته الإحجاج عنه من تركته، كما يقضى منها دينه، ويلزمهم أن يخرجوا من ماله بما يحج به عنه، بالنفقة الكافية ذهاباً وإياباً.

ومن هذا يتضح أنّ الاستطاعة عند الشافعية نوعان:

أ- استطاعة المباشرة بنفسه.

ب- استطاعة تحصيله بغيره.

ولكلّ منهما شروط.

فشروط الأولى:

الراحلة لمن كان بينه و بين مكّة مسافة القصر (مرحلتان) فصاعداً، والزاد، وأمن الطريق، وصحة البدن، وإمكان المسير: وهو أن يبقى من الزمان

ص: ۵۶

بعد وجود الزاد والراحلة، ما يمكن فيه السير المعهود إلى الحجّ.

وأما شروط الاستطاعة الثانية: فهى أن يعجز عن الحج بنفسه بموت أو كبر، أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله، أو هرم بحيث لا يستطيع الثبوت على الراحلة إلّا بمشقة شديدة. وهذا العاجز الحى يسمى معضوباً.

وتجب الاستنابة عن الميت إذا كان قد استطاع فى حياته، ولم يحج، إذا كان له تركة، وإلّا فلا يجب على الوارث، ويجوز للوارث والأجنبى الحج عنه سواء أوصى به أم لا.

وأما المعضوب فلا يصح عنه الحج بغير إذنه، وتلزمه الاستنابة إن وجد مالًا يستأجر به من يحج عنه فاضلًا عن حاجته يوم الاستئجار خاصة، سواء وجد أجرة راكب أو ماشى، بشرط أن يرضى بأجر المثل، وإن لم يجد مالًا، ووجد من يتبرع عنه بالحج من أولاده الذكور أو الإناث، لزمه استنابته.

وتجوز الاستنابة فى حجّ التطوع للميت والمعضوب على الأصح، ولو استناب المعضوب

ص: ۵۷

من يحج عنه، ثمّ زال العضب وشفى، لم يجزه على الأصح، بل عليه أن يحج (۱).

أما إذا مات بعد التمكن من الأداء، لم يسقط الفرض، ويجب قضاؤه من تركته، ويجب قضاؤه عنه من الميقات؛ لأنّ الحجّ يجب:

أ- من الميقات.

ب- ويجب من رأس المال؛ لأنّه دين واجب، فكان من رأس المال كدين الآدمى، وإن اجتمع الحج ودين الآدمى، والتركة لا تتسع لهما فالأصح أنّه يقدم الحج.

وأما الحنابلة، فهم كالشافعية أجازوا الحجّ عن الغير فى حالتين أيضاً:

الحالة الأولى: المعضوب: وهو من عجز عن السعى إلى الحج والعمرة لكبر أو زمانة أو مرض لا يرجى برؤه، أو ثقل لايقدر معه الركوب على الراحلة إلّا بمشقة غير محتملة، أو آيست المرأة من محرم. فيلزم كلّ من هؤلاء الحج إن وجد من ينوب عنه حراً، ومالًا يستنيبه به، فيحج عنه ويعتمر على الفور من بلده، أو من الموضع الذى أيسر منه إن كان غير بلده.

۱- انظر الإيضاح للنووى: ۱۶ ومابعدها، والمهذب ۱۹۹: ۱.

ص: ۵۸

أما النائب فيجوز عندهم أن يكون رجلًا عن امرأة وبالعكس، امرأة عن رجل، بلا خلاف بين العلماء، لكن يكره عند الحنفية إحجاج المرأة؛ لاشتمال حجّها عادة على نوع من النقصان، فإنها لا تزمل فى الطواف وفى السعى بين الصفا والمروة، و لا تحلق.

وإن لم يجد مالًا يستنيب به، فلا حج عليه بغير خلاف؛ لأنّ الصحيح (غير المريض) لولم يجد ما يحج به، لم يجب، فالمريض أولى، وإن وجد مالًا ولم يجد من ينوب عنه، فهل هو من شرائط الوجوب وهو المذهب، فلا يجب عليه شىء بعد الموت، أم من شرائط لزوم السعى للحج، فيجب الحج عنه بعد موته؟

ومن يرجى زوال مرضه وفك حبسه، ليس له أن يستنيب، فإن فعل لم يجزئه، لأنه يرجو القدرة على الحج بنفسه، فلم يكن له الاستنابة، ولا تجزؤه إن فعل كالفقير.

وإن عوفى المعضوب قبل إحرام النائب لم يجزئه حج النائب عنه اتفاقاً، للقدرة على المبدل قبل الشروع فى البدل، كالمتيمم يجد الماء.

ومتى أحج المعضوب عن نفسه، ثمّ عوفى، لم

ص: ۵۹

يجب عليه حج آخر؛ لأنّه أتى بما أمر به، فخرج عن العهدة، كما لو لم يبرأ.

وقال الشافعية والحنفية: يلزمه حج آخر؛ لأنّ هذا بدل إياس، فإذا برأ تبينا أنّه لم يكن مأيوساً منه، فلزمه الأصل، كالآيسة إذا اعتدت بالشهور، ثمّ حاضت، لا تجزؤها تلك العدة.

ولا يجوز الحج والعمرة عن حى إلّا بإذنه فرضاً كان أو تطوعاً؛ لأنها عبادة تدخلها النيابة، فلم تجر عن البالغ العاقل إلّا بإذنه كالزكاة.

الحالة الثانية: الميت الذى وجب عليه الحج: من وجب عليه الحج، لاستكمال الشرائط السابقة المطلوبة، ثمّ توفى قبله، فرّط فى الحج بأن أخره لغير عذر، أو لم يفرط كالتأخير لمرض يرجى برؤه أو الحبس أو الأسر أو نحوه، أخرج عنه من جميع ماله حجة وعمرة، ولو لم يوص به. ويكون الإحجاج عنه من حيث وجب عليه، لا- من حيث مكان موته؛ لأنّ القضاء يكون بصفة الأداء، بل يجب ألا يكون النائب من خارج بلده التى تبعد فوق مسافة القصر، ويجوز من نائب من بلد آخر دون مسافة

ص: ۶۰

القصـر؛ لأنّ مادونها فى حكم الحاضـر، وإن مات من وجب عليه الحج فى الطريق أو مات نائبه فى الطريق، حجّ عنه من حيث مات هو أو نائبه، فيما بقى مسافةً وقولًا وفعلًا.

أما عن الميت، فيسـقط عنه بحج أجنبى عنه ولو بلا إذن وليه؛ لأنه شبهه بالدين، أى أنّ الحج عن الميت يجوز عنه بغير إذنه واجباً كان أو تطوعاً، بخلاف الحى، لأنه أمر بالحج عن الميت، مع العلم أنه لا إذن له، وما جاز فرضه جاز نفله كالصدقة.

وإن وصّـى المسلم بحج نفل ولم يعين محل الاستنابة، جاز أن يحج عنه من الميقات أى ميقات بلد الموصى، ما لم تمنع منه قرينة، بأن يوصـى أن يحـج بقـدر يكفى للنفقـة من بلـده، فيتعين منها، فإن ضاق ماله عن الحـج من بلـده بأن لم يخلف مالًا يفى به، أو كان عليه دين، أخذ للحج بحصته، وحج به من حيث يبلغ، لشبهه بالدين.

وخلاصة ذلك: أنّ المالكية والحنفية يجيزون الحجّ عن الميت إذا أوصى، وتنفذ

ص: ۶۱

الوصية من ثلث المال، فيما أجاز الجمهور غير المالكية الحجّ عن الحى العاجز لمرض ونحوه.

وحجّ النائب يكون عند الحنفية والحنابلة من بلد المنوب عنه. أما عند الشافعية فيكون من الميقات، وتنفذ الوصية عند الشافعية والحنابلة من رأس المال، لا من الثلث فقط.

هذا، وأنّ حجّ النائب عن الميت يكون على الفور عند الجمهور؛ لقوله تعالى: وأتمّوا الحج والعمرة لله، ولله على النّاس حجّ البيت والأمر على الفور.

أما عند الشافعى فعلى التراخى، وللنائب تأخيره؛ لأنّ النبىّ أمّر أبابكر على الحج وتخلّف بالمدينة، لا محارباً ولا مشغولًا بشىء، وتخلف أكثر الناس قادرين على الحج، فدلّ على أن وجوبه على التراخى (۱).

أما بالنسبة للصرورة، وهو من لم يحج

۱- انظر مقالتنا «الفور والتراخى فى فريضة الحج» ميقات الحج، العدد ۹۸: ۱۱، وانظر كلّ هذا التفصيل فى الفقه الإسلامى وأدلته للدكتور وهبة الزحيلى ۳۷: ۳، والنووى فى حج الفرض فى المجموع شرح المهذب.

ص: ۶۲

عن نفسه، فقد أجازت الحنفية مع الكراهة التحريمية حجّ الصرورة، ولم يشترطوا أن يكون النائب قد حجّ عن نفسه، عملًا منهم بإطلاق حديث الخثعمية: «حجى عن أبيك» من غير استفسار عن سبقها الحج عن نفسها، وترك الاستفصال فى وقائع الأحوال ينزل منزلة عموم المقال أو الخطاب، أما سبب الكراهة فهو أنه تارك فرض الحج.

وقال المالكية: يكره الحج عن غيره، أى فى حالة الوصية بالحج قبل أن يحج عن نفسه، بناءً على أنّ الحج واجب على التراخى، وإلّا منع على القول بأنه على الفور، وهو المعتمد عندهم.

وقال الشافعية والحنابلة: لا يصح الحج عن الغير مالم يكن النائب قد حج عن نفسه حجة الإسلام؛ لأمر النبى رجلًا يلبى عن شبرمة، فقال له: حج عن نفسك، ثم عن شبرمة، ويحمل ترك الاستفصال فى حديث الخثعمية على علمه (ع) بأنها حجت عن نفسها أولًا، وإن لم يرد لنا طريق علمه بذلك، جمعاً بين الأدلة كلها، ويؤيده حديث آخر:

ص: ۶۳

«لا صرورة فى الإسلام» (۱).

وهو الذى رواه أبو داود بإسناد صحيح، بعضه على شرط مسلم، وباقيه على شرط البخارى، وقال الشافعى: أكره أن يسمى من لم يحج صرورة، وسمى صرورة لأنه صرّ بنفسه عن إخراجها فى الحج، وكذلك قال الحنابلة: تكره تسمية من لم يحج صرورة، لحديث لا صرورة فى الإسلام (۲).

روايات أهل السنة

استدل فقهاؤهم على مشروعية النيابة فى الحج بالأحاديث التالية:

- عن ابن عباس وعن غيره: أنّ امرأةً من خَثْعَم، قالت: يا رسول الله، إنّ أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره.

قال: فحُجِّى عنه (۳).

وقد رواه أحمد والنسائى بمعناه عن عبد الله بن الزبير بلفظ: جاء رجل من

۱- انظر مسند أبو داود. الصرورة.

۲- المصدر نفسه.

۳- رواه أصحاب الكتب الستة عن ابن عباس، ورواه أحمد والترمذى.

ص: ۶۴

خثعم، يصف حال أبيه الكبير (۱).

وكان هذا فى حجّة الوداع.

وهو يدل على جواز الحج عن الوالد غير القادر على الحج.

- وعن ابن عباس أيضاً: أنّ امرأة من جهينة جاءت إلى النبى، فقالت: إنّ أمّى نذرت أن تحج، فلم تحج، حتى ماتت، أفأحج عنها؟

قال: نعم، حجّى عنها، أرأيت لوكان على أمّك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحقّ بالوفاء (۲).

فيما رواه الدارقطنى بلفظ: أتى النبى رجل، فقال: إن أبى مات، وعليه حجة الإسلام، أفأحج عنه؟

قال: أرأيت لو أنّ أباك ترك ديناً عليه، أقضيته عنه؟

قال: نعم.

قال: فاحجُجْ عن أبيك.

فقد دلّ هذا الحديث على إجزاء الحج عن الميت من الولد، وشبهه بالدين.

۱- نيل الأوطار ۲۸۵: ۴، سبل السلام ۱۸۱: ۲.

۲- رواه البخارى، والنسائى بمعناه عن ابن عباس كما فى نيل الأوطار ۲۸۵: ۴ وما بعدها، وسبل السلام ۱۸۱: ۲.

ص: ۶۵

- فيما دلّت رواية أخرى وفيها «إنّ أختى نذرت أن تحج» دلت على صحّة الحج عن الميت من الوارث وغيره؛ لأنّ رسول الله لم يستفصلها أوارثٌ هى أملا؟

- وعن بريدة أنّه قال: جاءت امرأة إلى النبى فقالت: إنّ أمّى ماتت ولم تحجَّ [يقول صاحب التاج فى الهامش: يعنى حجة الإسلام] أفأحُجُّ عنها؟

قال: نعم حُجِّى عنها، رواه الترمذى فى الحج، ومسلم فى الصوم.

فصريح هذه النصوص- كما يقول صاحب التاج الجامع للأصول- يدل على أنّ من مات وعليه واجب للعباد كالدين أو لله كالحج والكفارة والزكاة والنذر، وجب على وليه قضاؤه من رأس ماله إن كان، و إلا ندب له قضاؤه، ولو قضاه أجنبى بإذن وليه كفى، ويجب الوفاء بنذر الحج ولا يسقط به الفرض؛ لأنّه أصلى، وقيل: يجزىء عن النذر وحجّ الإسلام (۱).

۱- انظر التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف ۱۱۰: ۲- ۱۱۱، وقد ذكر هذه الروايات أصحاب الكتب الستة.

ص: ۶۶

وقد دلّت السنة عندهم على اشتراط كون النائب قد حجّ عن نفسه، مستندين فى هذا إلى ما رواه ابن عباس: إنّ النبى سمع رجلًا يقول: لبّيك عن شُبْرمة.

قال: من شُبْرمة؟

قال: أخ لى، أو قريب لى.

قال: حججت عن نفسك؟

قال: لا.

قال: حجّ عن نفسك، ثمّ حج عن شبرمة.

فيما روى أبو داود وابن ماجة أنّه قال: فاجعل هذه عن نفسك، ثمّ احجج عن شبرمة.

فيما ذكر الدارقطنى: هذه عنك وحجّ عن شبرمة (۱).

۱- أبو داود وابن ماجة، وانظر نيل الأوطار ۲۹۲: ۴.

ص: ۶۷

الشروط

وفى شروط الحج عن الآخر، اشترطت الحنفية عشرين شرطاً للحج عن الغير، نستعرض بعضها مع ذكر آراء الفقهاء الآخرين فى أهمّها:

۱- النية

أى يجب على النائب أن ينوى عن الأصيل عن الإحرام؛ لأنه يحج عن الأصيل لا عن نفسه. ويفضل أن يقول النائب: أحرمت عن فلان، ولبيت عن فلان، ونويت الحج عن فلان وأحرمت به لله تعالى، ولبيك عن فلان.

ولو نسى اسمه فنوى عن الأصيل صح، أى أنّ نية القلب كافية، وهذا الشرط متفق عليه عند فقهائهم.

۲- العجز

أى أن يكون الأصيل عاجزاً عن أداء الحج بنفسه، وله مال. وإلّا فلا يصح هذا

ص: ۶۸

النوع من الحـج، أى أنه إن كان صـحيح البـدن وله مال، لا يجوز حـج غيره عنه. وهذا باتفاق جمهورهم إلا المالكيۀ الذين لا يجيزون الحج عن الحى مطلقاً، وعليه: لايجوز أن يستنيب فى الحج الواجب من يقدر على الحج بنفسه إجماعاً.

۳- استمرار العجز

أى استمرار هذا العجز كالحبس والمرض إلى الموت، فلو زال هذا العجز قبل الموت لم يجزئه حج النائب؛ معلّلين هذا بأنّ جواز الحج عن الغير ثبت بخلاف القياس لضرورۀ العجز الذى لا يرجى برؤه، فيتقيّد الجواز به.

وأما الحنابلۀ، فقد قالوا بإجزائه، لأنّه أتى بما أمر به، فخرج عن العهدۀ كما لو لم يزل عذره.

۴- وجوب الحج

فلو حج الفقير أو غيره- ممّن لم يجب عليه الحج- عن الفرض، لم يجز حج غيره، وإن وجب بعد ذلك.

۵- وجود العذر قبل الإحجاج.

فلو أحج صحيح غيره، ثمّ عجز، لا يجزيه.

وهذان الشرطان الرابع والخامس

ص: ۶۹

مفهومان بداهة.

۶- أن تكون النفقة من مال الأصيل، كلها أو أكثرها، وهو رأى الحنفية، إلّا الوارث إذا تبرع بالحج عن مورثه، تبرأ ذمة الميت، إذا لم يكن قد أوصى بالإحجاج عنه، فإن تطوع النائب بالحج من مال نفسه لم يقع عن الميت، وكذا إذا أوصى الميت المورث أن يحج عنه بماله، ومات، فتطوع عنه وارثه بمال نفسه، لا يجزى عن الميت؛ لأنّ الفرض تعلق بماله، فإذا لم يحج بماله، لم يسقط عنه الفرض.

أما الشافعية- وكذلك الحنابلة- فقد أجازوا التطوع بالحج من الوارث أو الأجنبى عن الغير مطلقاً، سواء أوصى الميت أم لم يوص، أو لم يأذن الوارث للأجنبى، كمن يتبرع بقضاء دين غيره.

۷- أن يقع الإحرام من الميقات على النحو الذى طالب به الأصيل. فيما قال الحنابلة: يجب على النائب الحج من بلد الأصيل؛ لأن الحج واجب على العاجز أو الميت من بلده، فوجب أن ينوب عنه منه، والقضاء يكون على وجه الأداء، كقضاء الصلاة والصوم، وكذلك فى حج النذر

ص: ۷۰

والقضاء ...

۸- اشترطت الحنفية أن يأمر الأصيل بالحج عنه، فلا يجوز الحج عن الغير بغير إذنه إلّا الوارث، فله أن يحج عن المورث بغير إذنه، وتبرأ ذمة الميت إذا لم يكن أوصى بالحج عنه، ودليلهم حديث الخثعمية المروى عن ابن عباس.

ولو حجّ عنه أجنبى تسقط عنه حجة الإسلام إن شاء الله تعالى، لأنه إيصال للثواب، وبعد الوصية يجزيه من غير المشيئة.

۹- إسلام النائب والأصيل وتوفّر العقل لديهما، فلا يصحّ الحج من المسلم للكافر، ولا من المجنون لغيره، ولا عكسه، ولو وجب الحج عن المجنون قبل طروء جنونه صحّ الإحجاج عنه.

۱۰- أن يكون النائب مطلقاً (بالغاً عاقلًا)، وأجاز الحنفية كون النائب صبياً مميزاً.

وهناك شروط أخرى اكتفينا بأهمها، وللمزيد انظر الجزيرى فى الفقه على المذاهب الأربعة، والزحيلى فى الفقه الإسلامى وأدلته.

ص: ۷۱

ونكتفى بهـذا القدر من مشـروعية النيابة فى الحج عند المذاهب الإسـلامية، وقد قلنا: إنّ النيابة تتحقق بالإجارة والتبرع والجعالة، آملين البحث مستقبلًا فى الإجارة المذكورة وشروطها وأحكامها.

الحج فى الأدب العربى

إدارة التحرير

مناجاة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)

لكَ الحمدُ ياذا الجودِوالمجْدِ والعُلا تباركت تُعطى من تشاء وتمنعُ

إلهى وخلَّاقى وحرزى وموئلى إليكَ لدى الإعسار واليُسر أَفزعُ

إلهى لئن جلت وجمَّت خطيئتى فعفوُك عن ذنبى أَجلُّ وأوسعُ

إلهى لئن أَعطيت نفسى سؤلها فها أنا فى أَرضِ النّدامة أَرتعُ

إلهى ترى حالى وفقرى وفاقتى وأنت مناجاتى الخفيّة تسمعُ

إلهى فلا تقطع رجائى ولا تزغ فؤادى فلى فى سَيب جُودِكَ مطمعُ

ص: ۷۲

إلهى لئن خيَّبتنى أو طردتنى فمن ذا الذى أرجو ومَنْ لى يشفع

إلهى أَجِرْنى من عذابِك إننى أسيرٌ ذليلٌ خائفٌ لك أخضعُ

إلهى فآنِسنى بتلقين حجَّتى إذا كان لى فى القَبْر مثوىً ومضجعُ

إلهى لئن عذَّبتنى ألف حجة فحبلُ رجائى منك لا يتقطَّعُ

إلهى أذقنى طعْمَ عفوْك يوم لا بنونَ ولا مالٌ هنالك يَنْفعُ

إلهى إذا لم ترعَنى كنت ضائعاً وإن كنت ترعانى فلست أضيعُ

إلهى إذا لم تعفُ عن غير محسن فمن لمسىء بالهوى يتمتّعُ

إلهى لئن فرَّطت فى طلب التُّقى فها أنا اثر العفو أقفو وأتَبعُ

إلهى لئن أخطأتُ جهلًا فطالما رجوتك حتى قيل ها هو يجزعُ

إلهى ذنوبى جازت الطّود واعتلَت وصفحُك عن ذنبى أجلُّ وأرفعُ

إلهى ينجى ذكرطَولك (۱) لوعتى وذِكْر الخطايا العينُ منِّى تدمَعُ

إلهى أنلنى منك روحاً ورحمةً فلست سوى أبواب فضلك أقرعُ

إلهى لئن أقصيتَنى أو طردتَنى فما حيلتى يا ربّ أم كيف أصنعُ

إلهى حليف الحبِّ بالليل ساهرٌ يُنادى ويدعو والمغفّل يهجعُ

وكلهم يرجو نوالك راجياً لرحمتك العُظْمى وفى الخلد يطمَعُ

۱- طولك: فضلك وإحسانك.

ص: ۷۳

إلهى يُمنينى رجائى سلامةً وقُبحُ خطيئاتى (۱) علىَ

يشيّعُ إلهى فإن تعفو فعفوك مُنقذى وإلّا فبالذّنْبِ المدمِّرِ أُصرَعُ

(إلهى بحقِّ الهاشمى وآله وحرمة إبراهيم خلّك أضرعُ)

إلهى فانشرنى على دينِ أحمد تقيّاً نقياً قانتاً لك أخشَعُ

ولا تحرمنّى يا إلهى وسيِّدى شفاعته الكُبْرى فذاك المُشفَّعُ

وصلِّ عليه ما دعاك موحِّدٌ وناجاك أخيارٌ ببابك رُكّعُ (۲)

القصيدة الدالّية لابن فارض

خَفّفِ السّير

خفّفِ السّيرَ واتّئِدْ، يا حادى إنّما أنتَ سائِقٌ بِفُؤادى (۳)

ما تَرى العِيسَ بَينَ سَوق وشَوْق لرَبيعِ الرُّبوعِ، غَرْثَى، صوادى (۴)

لم تُبَقّى لها المَهامِهُ جِسْماً غَيرَ جِلْد على عِظام بَواد (۵)

۱- خطيئتى.

۲- ديوان الإمام على*، تحقيق الأستاذ: نعيم زرزور.

۳- اتئد: تمهل. الحادى: سائق الإبل.

۴- غرثى: جائعة. صواد: عطاش.

۵- المهامه، الواحد مهمه: الفلاة.

ص: ۷۴

وتحَفّتْ أخْفافُها، فَهىَ تَمْشى مِن وَجاها، فى مِثلَ جَمرِ الرّمادِ (۱)

وبَراها الوَنَى، فَحَلّ بُراها خَلّها تَرْتَوى ثِمادَ الوِهادِ (۲) شَفّها الوَجْدُ، إن عَدِمتَ رواها

فاسقِها الوَخْدَ مِن جِفارِ المِهادِ (۳) واستَبِقْها، واستَبْقِها، فَهْىَ مِمّا

تَترامَى بِهِ إلى خَيرِ واد (۴) عَمْرَكَ اللهَ، إن مَرَرْتَ بوادى

يَنْبُعٍ، فالدّهْنا، فبَدْرٍ، غادى (۵) وسَلَكْتَ النّقَا، فأوْدانَ وَدّا

ن، إلى رابِعِ الرّوىّ النّمادِ (۶) وقَطَعْتَ الحِرارَ، عَمداً، لِخَيما

قُدَيد، مَواطِنِ الأمجادِ (۷) وتَدانَيْتَ مِنْ خُلَيص، فعسْفانَ،

فَمَرّ الظّهرانِ، مَلقَى البَوادى (۸)

۱- أخفافها، الواحد خف: وهو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. الوجى: الحفا.

۲- براها: هزلها. الونى: التعب. براها، الواحدة برة: حلقة تجعل فى أنف البعير. ثماد الوهاد: بقية الماء فى الأراضى المنخفضة.

۳- شفها: أنحلها حتى رَقت فظهر ما وراءها. الوجد: الحب. رواها: ما يرويها. الوخد: سير سريع. الجفار، الواحد جفر: البئر الواسعة. المهاد: الأرض المنخفضة.

۴- استبقها: اسبقها. استبقها: احفظها. تترامى به: تتقاذف به، يريد تسير عليها.

۵- ينبع، والدهناء، وبدر: مواضع. غادى: أراد غادياً أى مبكراً، بالنصب على الحال من التاء فى مررت.

۶- النقا، وأودان ودان، ورابغ: مواضع. الروى: المرتوى. الثماد: الماء القليل.

۷- الحرار، الواحدة حرة: الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار. قديد: اسم علم.

۸- خليص، وعسفان، ومر الظهران: مواضع. ملقى البوادى: ملتقى أهل البادية.

ص: ۷۵

ووَرَدتَ الجَمومَ، فالقَصَر، فالدّكناء، طُرّاً مَناهِلَ الوُرّادِ (۱)

وأتَيْتَ التّنْعيمَ، فالزّاهِرَ الزّا هِرَ نَوراً، إلى ذُرى الأطوادِ (۲)

وعَبَرْتَ الحُجون، واجتَزْتَ، فاخترْ تَ، ازدياراً، مشاهدَ الأوتادِ (۳)

وبَلَغتَ الخيامَ، فابْلِغْ سَلامى عَنْ حِفاظٍ، عُرَيْبَ‌ذاكَ النّادى (۴)

وَتَلَطَّفْ، واذكُرْ لهمْ بَعضَ ما بى من غرامٍ، ما إنْ لَهُ مِنْ نفادِ

يا أخلاىَ، هل يعود التدانى منكُمُ، بالحمى، بعَوْدِ رُقادى؟

مَا أمَرّ الفِراقَ، يَا جيرَةَ الحَ- - ىّ، وأحلَى التّلاقِ بَعدَ انْفرَادِ (۵)

كيفَ يَلتَذّ بالحَياةِ مُعَنّىً بَينَ أحْشائِهِ كَوَرْيِ الزّنَادِ

عُمْرُهُ واصْطِبارُهُ فى انْتِقاصٍ وَجَوَاهُ ووَجْدُهُ فى ازْدِيادِ

فى قُرَى مِصرَ جِسْمُهُ، والأُصَيحا بُ شَآماً، والقلب فى أجيادى

إن تعُدْ وقفةً، فويق الص- حيرات روحاً سَعِدْتُ بَعدَ بعادِى (۶)

۱- الجموم: البئر الكثيرة الماء. القصر والدكناء: موضعان. المناهل، الواحد منهل: موضع الشرب. الوراد، الواحد وارد: الذى يأتى الماء ليشرب.

۲- التنعيم والزاهر الأولى: موضعان. الزاهر الثانية: المشرق. النور: الزهر الأبيض.

۳- الحجون: جبل. الازدیار: الزيادة. الأوتاد: الجبال، وأراد هنا الأولياء الصالحين.

۴- عن حفاظ: عن تحفظ.

۵- قوله التلاق: حذف الياء تجوزاً، مراعاة للوزن.

۶- الصحيرات: موضع بعينه. رواحاً: مساء.

ص: ۷۶

یا رَعَی اللهُ یَوْمَنا بالمُصَلّی حَیْثُ نُدْعی إلی سَبیلِ الرّشادِ (۱)

وَقِبابُ الرّکابِ، بَیْنَ العُلَیْمَیْنِ ، سِراعاً، لِلْمأزِمَینَ، غوَادیْ (۲)

وَسَقَی جَمْعَنا بجَمْع، مُلِثّاً ولُیَیْلاتِ الخیْفِ، صَوْبُ عِهادِ (۳)

مَنْ تَمَنّی مالًا وَحُسْنَ مَآل فَمُنائی مِنی، وأقصَی مُرادی

یا أُهَیْلَ الحِجازِ إنْ حَکَمَ الدّهْ رُ بَبَینٍ، قضاءَ حتم إرادی

فغرامی القدیم فیکم غرامی ووِدادی، کَما عَهِدْتُّمْ، وِدادی

قَدْ سکَنتُمْ مِنَ الفُؤادِ سُوَیْداهُ، وَمِنْ مُقلَتی سَوَاءَ السّوَادِ (۴)

یا سَمیری رَوّحْ بمَکّةَ، رُوحی شادِیاً، إنْ رَغِبْتَ فی إسْعادی (۵)

فَذَرَاها سِرْبی، وطِیبی ثَراها وَسَبیلُ المَسیلِ ورْدی وَزَادی (۶)

کانَ فیها أنسی وَمِعراجُ قُدْسی وَمُقامی المَقامُ، والفَتحُ بادِ (۷)

۱- المصلی: موضع. سبیل الرشاد: طریق الخیر.

۲- العُلَیْمَیْن: تصغیر لمثنّی علم: الجبل. المأزمین: الضیقین.

۳- ملثاً: دائم المطر، وهو حال مقدم من صوب عهاد، أی المطر من أمطار الربیع.

۴- سویداه: حبته. سواء السواد: حبته.

۵- سمیری: محدثی لیلًا. روح: أعط الراحة.

۶- ذراها: ساحتها. سربی: طریقی. سبیل: طریق. المسیل: أی مسیل الماء.

۷- معراج: مصعد، سلم. الفتح: أراد به النصر. باد: ظاهر.

ص: ۷۷

نَقَلَتنی عَنها الحُظُوظُ، فَجُذّتْ وَارِداتی، وَلَمْ تَدُمْ أوْرَادِی (۱)

آه لَوْ یَسْمَحُ الزّمانُ بعَوْدٍ فَعَسَی أنْ تَعُودَ لی أعْیَادی

قَسَماً بالحَطیم، وَالرّکْنِ، والأسْتَارِ، والمَرْوَتَینِ، مَسعْیَ العِبادِ (۲)

وَظِلالِ الجنَابِ، والحِجرِ، والمیزَابِ، والمُسْتَجار للقُصّادِ (۳) ما شَمِمْتُ البَشامَ إلّا وأهْدَی

لِفُؤادی، تحیّةً مِنْ سُعَاد (۴)

***

فی بیان حقائق مناسک الحج

عبدالرزاق الکاشانی (ت ۷۳۶ ه-)

إنّی وَإنْ تَرَنی لَحْماً عَلَی وَضمِ عَوَّلتُ مِن جانِبِ المَولی عَلَی کَرَم

مَوْلَایَ مَوْلَایَ مَوْلی مَا اسْتَعَاذَ بِهِ ذوُ فاقَةٍ قَطُّ إلّا صَارَ ذَا نِعَمٍ

۱- جذت: قطعت. وارداتی: ما یرد إلی. أورادی، الواحد ورد: الجزء من القرآن.

۲- الحطیم: مکان بمکة. الرکن: أحد أرکان الکعبة. الأستار: أستار الکعبة، ما تستر به من النسیج. المروتان: هما المروة والصفا: جبلان فی مکة. مسعی العباد: أی حیث یسعی العباد فی حجهم.

۳- الجناب: هضاب فی مکة. الحجر: أراد حجر إسماعیل فی البیت الحرام. المیزاب: أراد میزاب الرحمة فی البیت الحرام. المستجار: اسم موضع.

۴- البشام: شجر طیب الرائحة.

ص: ۷۸

وَلَا تَوَكَّلَ مُسْقامٌ وَ لَادنِفٌ عَلَيْهِ إلّا وَقَدْ عَافَاهُ مِنْ سقَم

وَلَا اسْتَعَانَ بِهِ مُسْتَضْعَفٌ وَجِمٌ إلّا وأنْقَذَهُ مِنْ أَزْمَةِ الغَشم

فَثِقْ بِهِ وَتَوَكَّلْ فِی بَلِيَّتِهِ عَلَيْهِ تَحْظ بِهِ فِی البُؤْسِ وَالنِّقَم

سَلِّمْ إلَيْهِ وُجُوداً حَقُّهُ عَدَمٌ ألا تُسَلِّمُ مَالَمْ يَبْدُ عَنْ عَدَم؟!

فَوِّضْ إلَيْهِ أمُوراً لا تُصَرِّفُهَا فَلَيْسَ فِی يَدِكَ التَّصْرِيفُ بِالقَلَم

وجَرِّدِ العَزْمَ وَاسْلُكْ فِی مَحَجَّتِهِ سَهْلًا وَ لافَرْقَ بَيْنَ الرَّأسِ وَالقَدَم

مَا نَالَ مَقْصُودَهُ مَنْ كانَ فِی طَلَب وَالعَزم فِيهِ فُتُورٌ شَابَ بِالنَّدَم

إذَا رَأَيْتَ بِعَيْنِ القَلْبِ خَلوَتَهُ فِی صُوَرِهْ القَادِرِ الفَعَّالِ ذا اعتَصِم

بِحَوْلِهِ فَلَهُ الحَوْلُ الشَّدِيدُ إذَا فَعَلْتَهُ فَلَكَ الوُثقَی مِنَ العِصَم

لَا كَوْنَ لِلخَلْقِ كَيْفَ الحَوْلُ عَنْ عَدَم والقُوَّةُ ابْرَأ بِهِ مِنْ كُلِّ مُتَّهم

إذَا قَدَرْتَ عَلَی ذَا فَاعْلَمَنَّ بِهِ بِأَنَّهُ مُقَدِّرٌ إيَّاكَ لَاتُهَم

وَاطلُبْ مَرَاضِيَهُ فِيما فَعَلْتَ وَكُنْ عَنْ فِعْلِهِ رَاضِياً فَالْكُلُّ بِالْحِكَم

وَاحْرُزْ قُوَاكَ وَمَا مِنهَا بِرُمَّتِهِ فَإنَّها فَضَلاتٌ فِيكَ كَالزَّنَم

وَانظُرْ إلَی المُمْكِنِ المَوْجُود عَنْ عَدَم فَإنَّ مَوْقِعهُ لا شَیْءَ فِی القِدَم

وَمَا حقِيقَتُهُ أمْرٌ تُخَيِّلُهُ فَلا وُجُودَ لَهُ، وَاللهِ- ذا!- قَسَم

إنَّ المُوَحِّدَ لَمْ يُبْصِرْ سِوی أحَدٍ وَلَايَرَی أحَدٌ نَهْجاً سِوی امَم

فَوَجهُهُ مُتَجَلٍّ، أَينَ ذُو بَصَرٍ؟ وَنَهْجُهُ مُستَقِيمٌ، أيْنَ ذُو قَدَم؟

ص: ۷۹

وَجَّهْتُ وَجْهِی لله الَّذِی فَطَرَ ال- .. أعیَانَ لِلکُلِّ وَالأَرواحَ لِلنِّسَمِ

أَحرَمْتُ عَمَّا سِواهُ قاصِداً سَنَداً إِلَیهِ مُستَنَد الأَحیاءِ وَالرِّسَم

مِمَّا حواهُ یَدِی أو ضَمَّهُ خَلَدِی بَرِئتُ قَبْلُ دُخُولِی حَوْمَةَ الحَرَم

إذا خَلَعتُ صِفاتِی لابِساً صِفَةَ ال- .. قُدُّوسِ فَکَّرْتُ فِی تَقْبِیلِ مُسْتَلِم

وَطُفتُ بِالبَیْتِ کَالأَ مْلاکِ حَوْلَ حمَی ال .. جَبّارِ طَوْفاً عَلَی الهاماتِ وَالغَمَم

وَکُنْتُ إِذ شاهَدَ الرُّوحُ الجَمَالَ کَمَا صَلَّی الخَلِیلُ أصَلِّی تِلوَ مُحتَشِم

ثُمَّ المَشاهِدُ صَفَّی القَلْبَ عِزَّتُهُ وَالنُّورُ مِنهُ سَعی فِی النَّفسِ وَالإِدَم

وذاکَ سَعیٌ مِن طُور الصَّفاءِ إلی جُلمُودِ مَرْوَةَ بِالأشواطِ مُختَتَمِی

تُفنی البَقِیَّةُ مِنِّی بَعْد بَاقِیَهٔ إفْناؤُها الحُرمَةُ العُظمی مِنَ الحَرَم

فَکَانَ آخِرُ أطوارِی لِمُعتَمَرِی وَالحِلُّ یَحْکُمُ بِالتَّقْصِیرِ ذا حکم

فَأَوجَبَ الحُبُّ إحرامَ الفناءِ لَهَا فَیالَها عَزْمَةً مِنْ أَوفَقِ العِزَم

إذ کُنتُ أُنشأُ إحرَاماً وَمُنشِئُهُ ذَاکَ الحَبِیبُ یَقِیناً لَیْسَ ذا غمَم

فَسِرْتُ فِیهِ بِهِ حَتّی وَقَفْتُ لَهُ فِی مَوْ قِفٍ عَرَفات وَسْم ذَا العَلَم

وَالجَمْعُ بَعْدَ صَلوةِ الصُّبحِ مُزدَلِفٌ وُقُوفُهُ رافِعُ التَّلوِینِ وَاللَّمَم

فَذَاکَ بَعْدَ زَوالِ الرُّوحِ فانِیَةً وَذا بِنُورِ جَمالِ الذّاتِ مُختَتَمِی

وَعِندَ قُوَّةِ نُورِ الشَّمسِ قدْ فَنِیَتْ مِنِّی البَقایا حوىً مُسوّدَةَ الحِمَم

طَفِقْتُ أَرمِی وَ لا أَرمِی حصَیَّتها لکِنّ رَامِیَها رامِی قوی صَنَمِی

ص: ۸۰

أَعْنِی أَنانِیَتِی طَرْداً وَمَا تَبِعَتْ فَإِنَّها جَشَمُ الشَّیطانِ لا جَشَمِی

وَکُنْتُ أَذْبَحُ نَفْسِی کَالخَلیلِ إِذا رُؤیاهُ صَدَّقَها فِی صُورَةِ الغَنَم

وَکُلُّ مَا تَبِعَتْها مِنْ غَرائِزِها وَالحَلقُ رَمزٌ إِلی إِفناءِ ذِی الشِّیَم

ثُمَّ اسْتَقَمْتُ بِهِ فِیما أُمِرتُ بِهِ فَطُفتُ لِلحَجِّ وَاستأنَفتُ مُنتَزَمِی

مِمَّا فَعَلتُ بِنَفْسِی عِنْدَ مُعتَمِری وَالرَّمی نَفیُ ثَلاث فِیَّ کَالوَذَم

منفِیَّةٌ وَجَدت بِاللهِ ثَابِتَةً أَفعَالها أَشْبَهَتْ فِی أَعیُنِ الأُمَم

شَتَّان بَینَهُمَا فِی الَحالَتَیْنِ بَدَا مِنهَا التَّفاوُتُ بَینَ النّاس فِی القِیَم

تِلکَ المَناسِکُ مَقضِیّاتُ صاحِبِکُم وَهُوَ الَّذِی مَعَکُم فِی القَاعِ وَالأَکَم

لَعَلَّ مَنْ سَمِعَتْ أُذُناهُ قِصَّتَهُ یُمْسِی یُکَذِّبُ أوْ یَرْمِیهِ بِالهِرَم

یَقُولُ کَیْفَ؟ وَمَا حَانَتْ مَواسِمُها وَأَیْنَ بَکَّهُ وَالرُّکبانِ فِی اللُّقَم

هَذا وَقَدْ عُذرا إِذ کانَ مَا سَمِعوُا شیئاً فُؤَادُهُمُ عَنْ فَهمِ ذاکَ عَمِی

أَکَانَ ذلِکَ حَقّاً لَمْ یَکُونُ وَکُنتُ حِینَئِذ یَقْظانُ لَمْ یَنم

کَأَنَّ أَعیُنَهُمْ کَفَّتْ بِأغشِیَهٔ وَسُدّ إِذ أَنَّهُمْ عَنْ ذاکَ بِالصِّمَم

یَا أَیُّهَا العَارِفُ المَقْضِیُّ حجَتَهُ صَدِّق فَإِنَّهُمُ فِی الحَجِّ کَالنِّعَم

إِلّا أَوَامِرَ تَشْرِیع قَدْ امتَثَلُوا فَاستنقَذُوامِنْ عَذَابِ النَّارِفِی الخِصَم

وَاسْتَسعَدُوا بِنَعِیم لا یُکَدِّرُهُ خَوْفُ النّفَادِ وَ لَا التَّنغِیص بالشنم

زُرْتُ الحَبِیبَ إِذَا طَهَّرْتُ مُتّبِعاً لهدیه قَاضِیاً لِلْحَقِّ فِی العظم

ص: ۸۱

خُذْهَا عَجِيبَةُ أَحْوَالِی فَمَا سَمِعَتْ أُذُنٌ نَظِيرَتَها فِی العُرْبِ وَالعَجَمِ

شُكراً لِأَنْعُمِهِ حَمْداً لِقِسْمَتِهِ فَقَدْ رَضِيتُ مِنْ الجَبَّارِ بِالقِسَمِ

***

ص: ۸۲

حوار مع ممثّل الولى الفقيه لشؤون الحج والزيارة

سماحة حجة الإسلام والمسلمين

محمدى الرى شهرى،

حول خصائص الحج للعام ۱۴۲۴ ه-. ق

التقينا- و على العادة فى كل عام بعد حج التمتع- سماحة حجة الإسلام والمسلمين محمدى الرى شهرى- دامت إفاضاته- ممثل الولى الفقيه ومسؤول بعثة الحج فى الجمهورية الإسلامية، لنوقف قراءنا الكرام على كيفية إقامة مراسم الحج والمشاكل التى تواكب هذه الشعيرة، وتقديم تقرير عن أهم النشاطات والأعمال الثقافية لحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق.

ص: ۸۳

ميقات الحج: نشكر سماحتكم على إتاحة الفرصة، ما هو تقويمكم لحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق؟

الشيخ الرى‌شهرى: بسم الله الرحمن الرحيم، بعد الشكر والتقدير لجهود الإخوة العاملين فى مجلة «ميقات الحج» نحاول الإجابة عن سؤالكم ضمن المحاور التالية:

۱- إحصائية الزائرين الإيرانيين طبقاً لآخر التقارير:

بلغت إحصائية الحجاج القادمين من إيران إلى المملكة العربية السعودية فى عام ۱۴۲۴ ه-. ق (۹۶۱۰۳) حاجاً، بينهم ما يقرب من (۱۸۱۳) زائراً أفغانياً، و (۱۶۷) زائراً عراقياً، وما عدا هؤلاء من العاملين فى خدمة الزائرين، وهم عبارة عن أعضاء البعثة، واللجنة الطبية، والإذاعة والتلفزيون، وقرّاء القرآن الكريم، والطاقم الجوى، وغيرهم من أفراد المؤسسات المعنيّة، ومن العاملين فى إعداد البرامج الغذائية المركّزة، ولجان الإشراف على الذباحة.

ص: ۸۴

ومن الجدير بالذكر أن تكاليف سفر (۵۲۷) شخصاً قد دفعت مسبقاً من قبل الجهات المختصة، ونصف تكاليف (۳۰) قارئاً للقرآن دفعت من قبل وزارة الأوقاف والامور الخيرية.

وقد بلغت مجموع رحلات الحجاج الإيرانيين (۵۲۲) رحلة، كانت نسبة الرجال فيها (۷۸/ ۵۳٪)، ونسبة النساء (۱۳/ ۴۶٪)، وأما نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة من مجموع الحجاج فكانت تزيد على (۵۵٪).

هذا، وقد بلغ مجموع الحجاج القادمين

ص: ۸۵

من مختلف البلدان إلى السعودية حسب آخر الإحصائيات (۷۰۶/ ۴۱۹/ ۱) زائراً، ومجموع حجاج عام ۱۴۲۴ ه-. ق يقرب من (۰۰۰/ ۳۰۰/ ۲) زائراً، ومن ذلك يظهر أن ما يقرب من (۸۰۰) ألف حاج هم من أبناء الشعب السعودى.

لقد كشفت بعض الإحصائيات أن دخل الدولة السعودية خلال موسم الحج كان زهاء (۲/ ۵) ميليارد ريال سعودى، أى ما يعادل (۴۵/ ۱) مليارد دولار.

۲- الشعور بالحاجة إلى منجى:

كان الشعور بالحاجة إلى قائد ومنج واحد للعالم الإسلامى فى حج العام الماضى يفوق الإحساس بالحاجة إلى ذلك فى السنوات الماضية، فأهم الخصائص التى يمكن بحثها فيما يرتبط بحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق هو اهتمام العالم الإسلامى وشعوره بمنطقة الفراغ والحاجة إلى قيادة الامة الإسلامية، وها نحن نجد هذا الشعور يتزايد وينتشر فى العالم شيئاً فشيئاً.

لقد بحثنا موضوع المهدوية فى هذا العام مع حجاج سائر البلدان، سواء فى لقائهم معنا أو مع أعضاء البعثة، حيث

ص: ۸۶

طرح هذا الموضوع أكثر من السنوات السابقة، ومن الملفت للنظر أن ذلك كان- وبدون علم مسبق منّا أو تنسيق- محور أبحاث أكثر الاجتماعات و الملتقيات، وأيضاً محور أبحاث بعثة قائد الأمة على المستوى العالمى.

۳- قراءة دعاء كميل بين حرم رسول الله و أئمة البقيع:

الأمر الآخر الذى يعتبر من خصائص حج العام الماضى هو أداء مراسم دعاء كميل على أحسن وجه، والسبب فى ذلك شعور الحكومة السعودية بالخطر تجاه نشاط الوهابيين المتشددين، حيث شدّدت الحكومة الرقابة تحسّباً للأحداث المحتملة، مما أدى إلى انخفاض عدد المشاركين من الحجاج غير الإيرانيين، حتى أن البعض كان يقف جانباً وعلى بُعد من محل إقامة الدعاء، لكننا شهدنا حضوراً ومشاركةً أكثر للحجاج فى الأدعية الاخرى، لقد أوضحت أحداث دعاء كميل فى الحج الماضى أن بين الحركة الوهابية والمسؤولين السعوديين فى هذا الشأن اختلافاً واضحاً.

وقد قررت جماعة من الوهابية فى أول مراسم دعاء كميل لحجاج بيت الله الحرام

ص: ۸۷

(المدينـة بعـد الحـج)- والذى يعتبر فى الحقيقة المراسم الثالثة لهذا الدعاء فى هذا البلد الطيب- مداهمةَ المشاركين فى هذه المراسم، لكن الحكومة السـعودية واجهتهم وقبضت عليهم، فعلى الرغم من وجود بعض المخاطر تمكّنا- وبحمد الله- من إقامة دعاء كميل على أربع دفعات ولجميع المشاركين فى مراسم الحج (المدينة قبل الحج، والمدينة بعد الحج) وذلك بمشاركة عالية وحضور فائق ومعنوية خاصّة من جانب الحجاج.

۴- مراسم البراءة من المشركين:

كـانت مراسم البراءة من المشـركين عام ۱۴۲۴ ه-. ق والتى أقيمت فى صـحراء عرفـة من أكثر المراسم عظمـة وجزالـة، لكن الحكومة السـعودية لم تكن قـد سـمحت لنا عشـية عرفـة فى إعـداد المخيمات حتى طلوع الفجر لإقامة هذه المراسم، ولكنّا سـرعان ما عدنا إلى عرفات وقمنا بتشييد الخيام لغرض مراسم البراءة.

كانت مشاركة الحجاج غير الإيرانيين قياساً بمراسم البراءة فى الأربعة عشر سنة الماضية- وهى مدّة استلامى لمسؤولية

ص: ۸۸

البعثة- أكثر حماساً و مشاركة.

۵- قراءة بيان قائد الثورة الإسلامية:

تعالت الهتافات ضد أمريكا وإسرائيل لدى قراءة بيان قائد الثورة الإسلامية باللغة الفارسية والذى ترجم إلى اللغة العربية أيضاً، ومن الخصائص الاخرى لحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق زيارات الحجاج غير الإيرانيين الكثيرة والواسعة النطاق لمقرّ بعثة السيد القائد، حتى أن المقرّ كان يضيق بالحاضرين أحياناً، ولم نجد الفرصة للقاء زائرين جدد، وهذا الأمر يدل على أنّ الجمهورية الإسلامية فى إيران، صارت نقطة الانطلاق وأمل المسلمين، وأنّ هذا الأمل يتزايد يوماً بعد آخر.

۶- لقاء مسؤولى البعثات الاخرى:

التقينا ستة عشر شخصاً من مسؤولى البعثات من سائر البلدان، أمثال وزير الحج الجزائرى، ووزير الحج والأوقاف اليمنى، ومسؤولى البعثات فى أفغانستان، وعمان، والعراق، وحزب الله، وكانت اللقاءات مفعمة بجوٍّ من الودّ والمحبة، حيث تناولنا معهم الامور ذات العلاقة بين الجانبين.

ص: ۸۹

۷- لقاء الشخصيات العلمية والسياسية البارزة:

كان لنا لقاءات مفيدة مع عدد من الشخصيات العلمية والسياسية سواء فى داخل البعثة أو خارجها، فقد التقينا الشيخ صالح الحصين مسؤول شؤون الحرمين، وتحدثنا معه حول ظاهرة العام الماضى، وهى ترجمة خطب وكلمات بعض أئمة الجماعات والتى تضمّنت بعض الإهانات للشيعة، بل وجَّه بعضها الإهانة لشخص رسول الله، وقد طلبت التصدى بحزم لمثل هذه الأمور، كما التقينا وزير الحج اليمنى، وهو شاب فاضل، له معرفة بأمور بلدنا، وعلى وعى واطلاع علمى جيد.

وعلى أىّ حال، إنّ بإمكان مثل هذه اللقاءات أن تكون مفيدة ومجدية لكلا البلدين.

۸- الملتقيات:

عقدنا فى حج العام الماضى (۱۲) ملتقى، كان زهاء النصف منها على مستوى عالمى، وعلى ضوء التقارير الواصلة إلينا، كان عدد المشتركين فى هذه الملتقيات ما يقرب من الأربعة آلاف شخصية من مختلف الممالك والأقطار.

ص: ۹۰

۹- نشاطات قسم المذهب السنى:

كان لقسم المذهب السنى فى البعثة نشاطات فاعلة وقوية، حيث كانت لهذا القسم- وبالإضافة إلى اللقاءات الإعلامية العادية- لقاءات خاصة مع شخصيات علمية ودينية سعودية وغيرها من مختلف البلاد الإسلامية.

۱۰- تفعيل نشاط الحركة الوهابية:

شدّدت الحكومة السعودية من الرقابة الأمنية فى حج العام الماضى خوفاً من مداهمة المتشددين للحجاج، فكان السلفيّون تحت ضغط الدولة السعودية، ولم يواجه الحجاج الإيرانيون فى هذا المجال أيّة مشاكل تذكر.

على أنّ السلفيين ضاعفوا من نشاطهم ضد الشيعة عن طريق توزيع الكتب والنشريات والأشرطة، إلّا أنّهم مع ذلك لم يتمكّنوا من خلق مشاكل لحجاجنا، فكان موسم الحج لعام (۱۴۲۴) الموسم الوحيد الذى لم يتحدث فيه خطباء مسجد النبى والمسجد الحرام ضد الشيعة، فبعثت رسالة شكر عن طريق سفيرنا فى السعودية إلى السيد الأمير نايف وزير الداخلية

ص: ۹۱

للمملكة العربية السعودية جاء فيها: إنّ هذه السنة هى السنة الأولى التى لم يَمس الخطباء فى صلاة الجمعة المذاهب غير الوهابية بسوء.

۱۱- أصداء نجاح حزب الله- لبنان:

لقد كانت لنجاحات حزب الله لبنان على صعيد تحرير الأسرى والمعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين؛ أصداء إيجابية واسعة فى الحج الماضى، كما أدى بث احتفالات تبادل الأسرى إلى تعميق الارتباط بحزب الله والمقاومة الإسلامية فى لبنان أكثر فأكثر.

۱۲- أصداء أخبار الانتخابات النيابية (الدورة السابعة):

كان لأخبار انتخابات مجلس الشورى السابع فى إيران والخلاف الناجم عن ذلك آثارها السيئة فى نفوس الحجاج، خاصة المتابعين منهم لتطور الامور السياسية فى إيران، حيث كانوا يتساءلون عن سرّ الاختلاف والأسباب الباعثة لذلك.

۱۳- الحضور الفاعل للزائرين العراقيين:

من خصائص حج سنة (۱۴۲۴ ه-. ق) الحضور الفاعل للزائرين والشيعة العراقيين، والذى يعتبر فريداً من نوعه

ص: ۹۲

بعد سقوط صدام، حيث قامت المملكة العربية السعودية- كما قيل- بدفع بعض تكاليف هؤلاء الزائرين.

لقد كان الحجاج العراقيون فى السنوات الماضية يخضعون للرقابة المشددة، حيث كان عناصر النظام يتابعون علاقات الحجاج العراقيين مع غيرهم بدقة، لكنهم فى هذا العام شعروا بحرية مطلقة.

۱۴- مشاكل قرب البقيع:

كنّا نواجه فى حج العام الماضى بعض المشاكل قرب البقيع واحد، لكن حيث لم يكن لعناصر الأمر بالمعروف أو بالأحرى: السلفيين حضوراً فاعلًا سنح ذلك للحجاج أداء شعائرهم بحرية تامة، وبالطبع كان لبعض الزائرين الإيرانيين وغيرهم سلوك ابتزازى حيث كانوا- ومن خلال الصلاة داخل وخارج المقبرة- يقدّمون الذرائع للسلفيين، مما دفعنا للتفكير فى إيجاد حلّ لهذه المشكلة فى السنوات القادمة.

۱۵- إرسال (۱۴۵) إمرأة مبلّغة:

لقد استفدنا فى حج عام (۱۴۲۴)- ولأول مرة- من الخدمات الثقافية لبعض المرشدات لفئة خاصة من الحجاج، أى

ص: ۹۳

النساء، فقـد وردت تقارير حاكية عن النجاح الباهر- والذى فاق تصورنا- الذى حققته المرأة المبلّغة، وها نحن نبارك جهود الأخوات والحوزات العلمية، ونسأل المولى القدير لهم المزيد من التوفيق.

لقـد كان لهذه الأخوات فى مكة والمدينة برامج إرشادية وتعليمية أيضاً، ونحن نأمل من خلال وضع خطة خمسـية- على مدى خمس سنوات- إعداد المرأة المرشدة للقيام بدورها فى جميع رحلات الحج.

لقد اسـتقرّ عدد من الأخوات المرشدات فى مقرّ البعثة لتلقى المسائل الشرعية المرتبطة بالمرأة والإجابة عنها، وكنّ قد حضرن أيضاً فى مسجد الشجرة ساعة رحيل الحجاج إلى مكة؛ لغرض الإجابة عن أسئلة النساء.

۱۶- الإجابة عن المسائل الشرعية:

كان لأعضاء لجنـة الاسـتفتاء المسـتقرة فى بعثة السـيد القائد حضور فاعل ومسـتمر منذ بداية شـعائر الحج وحتى انتهائها، حيث كانوا- وطبقاً لبرنامج مدروس- يجيبون عن أسئلة السائلين فى جميع مواقيت

ص: ۹۴

الحـج والمسـجد الحرام والمشـاعر، حتى أن الشـيعة من العراقيين والأفغـان وسائر البلـدان الاخرى كانوا يرجعون فى مسائلهم إلى لجنة الاستفتاء ويتلقّون الإجابة منها.

۱۷- عمل الرابطين بين البعثة والمبلّغين:

من خصائص حـج عام (۱۴۲۴) الاخرى تقويم الأعضاء فى البعثـة لأعمال علماء الـدين ومساعـديهم فى مكـة والمدينـة، حيث تمَّ عن طريقهم اختيار (۷۶) عالماً دينياً، رفعت معاونيـة شؤون علماء الدين أسـماءهم إلينا، حيث نأمل الاسـتفادة التامة من هؤلاء الأفاضل فى المستقبل.

۱۸- اللجان الإرشادية:

بـذلت لجان الإرشاد فى حـج عام (۱۴۲۴) جهـوداً قيّمـة، حيث تمَّ تشـكيل هـذه اللجـان فى إيران، وقـد وزّعت عليهم كراريس تتعلق بالعمل الإرشادى ليمارسوا على ضوئها أعمالهم الثقافيـة، ويساعـدوا علماء الدين ومسؤول كل رحلة وزائريها، وكانت نشاطاتهم جيدة ومرضية للغاية.

تتضمن هذه اللجان (۱۱۰) أشخاص

ص: ۹۵

يملكون شهادة الدكتوراه، و (۱۹۸) شخصاً يملك شهادة الماجستير، و (۹۳۳) شخصاً يملك شهادة البكالوريوس، و (۱۰۳) من طلاب العلوم الدينية، وإنّى لأرى من اللّازم أن نشكر مساعى جميع المتعاملين مع لجان الإرشاد.

۱۹- استقصاء آراء الزائرين:

تمشياً مع برنامج العام الماضى، تمّ توزيع ملزمة فى ثلاثة عشر صفحة تتضمّن (۲۱۵) سؤالًا للزائرين، مما يمكن لحصيلة الإجابات عليها التأثير فى اتخاذ السبل المناسبة لمعالجة المشاكل فى السنوات القادمة.

۲۰- مشاركة نخبة من قرّاء القرآن الكريم فى الحج:

من جملة النشاطات الثقافية لعام (۱۴۲۴) مشاركة نخبة من قرّاء العالم الإسلامى فى مراسم الحج، حيث اجريت مراسم تلاوة القرآن فى المسجد الحرام.

ومن تلك النشاطات أيضاً توزيع كراريس إرشادية على علماء الدين لغرض الإجابة عن شبهات الفرقة الوهابية، وعرض تقرير عن كيفية حج المواطن الإيرانى قياساً بحج المواطن المسلم من

ص: ۹۶

سائر البلدان، وتشكيل الجلسات داخل البعثة للزائرين الإيرانيين، وغير ذلك.

۲۱- التغطية الإعلامية الشاملة لمراسلى الجمهورية الإسلامية و ...:

تعتبر التغطية الإعلامية القويّة والمؤثرة التابعة لمراسلى الجمهورية الإسلامية والإذاعة والتلفزيون من خصائص حج العام الماضى، حيث انعكست آثارها المعنوية فى أرجاء البلاد، وأنى لأتقدم بالشكر لما بذله جميع هؤلاء الأعزاء من جهود فى هذا المجال.

إن الرحلات الجيّدة والمشتملة على الطبقة المثقفة بحاجة ماسة إلى «نشرية الزائر».

لقد قمنا بتجهيز رحلة أساتذة الجامعات بالحاسوب والانترنت، لكننا نشعر بأنّه لابد من مزيد اهتمام بهذه الطبقة فى السنوات المقبلة، وأنّه لابد من تعميم الخدمات الالكترونية والأجهزة المتطورة إلى جميع الطبقات.

۲۲- النقل المباشر للزائرين إلى المدينة و ...:

استطاع المسؤولون التنفيذيون نقل (۴۶۴۳۲) زائراً بشكل مباشر إلى المدينة، ونقل (۴۷۹۱۸) زائراً- ممّن كان فى

ص: ۹۷

المدينة بعد الحج- إلى إيران.

هـذا وقد لعب ما يقرب من ۶۰٪ من منازل الزائرين الواقعة فى المنطقة المركزية والفنادق المحيطة بالمسـجد النبوى الشـريف دوراً فى تنشيط الحالة المعنوية لدى الزائرين.

۲۳- الطهى المركزى:

يعتبر الطبـخ المركزى للطعام للـذين نزلوا الفنادق المحيطة بالمسـجد النبوى الشـريف فى المنطقة المركزية، ومنح رخصة طهى الطعام داخل القوافل؛ خارج

ص: ۹۸

المنطقـة المركزيـة، وأيضاً التطبيق المنتظم لبرنامـج الذبح، وذبح ۶۲٪ قربانـاً يوم عيدالأضـحى، و ۳۸٪ فى اليوم الحـادى عشـر من ذى الحجة، كلّ ذلك يعتبر من خصائص حج العام ۱۴۲۴ ه-. ق

۲۴- السلبيات والنواقص وبعض المشاكل:

واجهنا فى حج عام ۱۴۲۴ بعض النواقص فى الجانب الخـدمى، من قبيل الحمل والنقل داخل المدينـة، عدم كون بعض الأبنية مناسـباً، وجود بعض النواقص فى قسم التموين، التأخير للرحلات الجوية، وعدم توفّر الأمور الخدمية المناسـبة للزائرين و ...، هذه وغيرها كانت من مشاكل الحج فى العام الماضى، والتى نأمل رفعها والحدّ من تكررها بوضع الخطط المناسبة.

ميقات الحج: ذكرتم بعض المشاكل والنواقص، هل فكرتم فى إيجاد حلول مناسبة لذلك؟

ص: ۹۹

الشيخ الرى‌شهرى: كما ذكرنا لكم أنه على الرغم من النجاح الذى حققناه فى حج العام الماضى واجهنا بعض المشاكل والنواقص، وهى عبارة عن:

أولًا: ازدحام الحجاج فى بعض خطوط باصات الحمل والنقل داخل مكة، خصوصاً فى موقف نفق باب على، فقد كان ازدحام الحجاج شديداً جداً، والسبب فى ذلك عدم الانضباط، حيث كان بعض الزائرين من باقى الدول يرتقون هذه الباصات فيضاعفون من المشاكل، كان تردد وسائط النقل العامة فى منطقة المسجد الحرام يضاعف أيضاً من المشكلة، من اليوم الرابع وحتى اليوم الثامن من ذى‌الحجة، وذلك بسبب شدة ازدحام الحجاج.

هذه هى مشكلتنا فى كل عام، والسبب الرئيس فيها تزايد عدد الحجاج، وفقدان الإدارة الصحيحة للسير، وهى مشكلة لا علاقة لنا بها.

إنّ هناك مساعى وجهود حثيثة من قبل البعثة ومؤسسة الحج، الغرض منها التعرف على بعض المشاكل من أجل رفعها فى السنوات

ص: ۱۰۰

القادمة، لكن مشكلة الازدحام مشكلة قائمة لا يمكن حلّها حتى على مدى السنوات القادمة.

ثانياً: كانت بعض منازل مكة تعانى من نواقص، لكننا قررنا بعد دراسة الموضوع دفع مبالغ للزائرين المقيمين فيها تعويضاً لهم بذلك عن النقص الحاصل.

ثالثاً: الضعف الذى كانت تعانى منه بعض فروع التموين الغذائى، فقد برزت مشكلة فى الألبان والمشروبات الغازية مثلًا، لكنها سرعان ما ارتفعت بجهود بذلتها البعثة ومعاونية التفتيش ومؤسسة الحج والزيارة.

رابعاً: التأخير الحاصل فى الخطوط الجوية أو عدم تقديم الخدمات المناسبة فى بعض الرحلات الجوية، وقد تقدمنا إلى المسؤولين فى هذا المجال بجملة ملاحظات.

بالطبع، لا تعدّ هذه المشاكل شيئاً أمام الخدمات الكثيرة التى تقدّم إلى الزائرين، لكن فى الوقت نفسه لابدّ من معالجتها لتحاشى ارتكابها فى السنوات المقبلة.

ص: ۱۰۱

ميقات الحج: يبدو أنّ معاملة الدولة السعودية للإيرانيين بدأت تتحسن قياساً بالحالة السابقة، وأنّ الخناق قد ضاق على الحركة الوهابية، فما هو نظركم فى ذلك؟

الشيخ الرىشهرى: كانت معاملة الدولة السعودية فى حج العام الماضى ممتازة قياساً بالسنوات الماضية، فقد كان لهم تعامل طيب وحازم فى إقامة مراسم دعاء كميل، على العكس من الحركة الوهابية والسلفيين، حيث كانت معاملتهم قياساً بالماضى أشد وأغلظ.

والسبب فى ذلك- حسب تقديرى- واضح، وهو أنّه كلّما استوثقت العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والدولة السعودية أكثر، شعر الوهابيون بعزلة أكثر، حتى أنّ ذلك ينعكس سلباً على تصرفاتهم، حيث تسعى الحركة لابتزاز الإيرانيين والتعامل معهم بشدّة، ولعلّ ذلك يدعو الإيرانيين إلى المواجهة، ومن ثمّ يؤثر على العلاقات بين إيران والدولة السعودية.

ص: ۱۰۲

لـذا، فنحن نـدعو الزائرين الإيرانيين، خصوصاً المسؤولين فى مؤسـسة الحـج والزيارة، إلى الحـذر وعـدم تقـديم الـذرائع للوهابيين فى ارتكاب أى عمل يصبّ فى صالحهم.

ميقات الحج: برزت عدة مشاكل فى العمرة من السـنة الماضية بسبب مشاركة بعض الشركات فى تقديم الخدمات إلى المعتمرين، فما هى الإجراءات المتخذة فى السنة الحالية لعدم تكرر مثل ذلك؟

الشـيخ الرىشـهرى: لم تتمكن بعض الشـركات التى تعمـل تحت رعايـة مؤسـسة الحـج والزيـارة من تقـديم الامور الخدميـة المطلوبة للزائرين، مما أدى إلى عـدم ارتياح جماعـة من المعتمرين، وذلك لارتفاع الأسـعار، وعـدم التغطيـة الكافيـة والمطلوبـة للزائرين، وهذا الأـمر يعنى أنّ رقابـة مؤسـسة الحـج والبعثـة لو ارتفعت فـإنّ ذلك لا يؤدى إلى خفض الأسـعار فحسب بل سوف يزيـد من المشاكل، والسبب فيه واضح، وهو أن مؤسسة الحج لا تطمح إلى الكسب والربح، بل تسعى إلى أخذ الأسعار

ص: ۱۰۳

المناسبة لأداء العمرة، وتقديم خدمات أفضل إلى الحجاج لكسب المزيد من رضاهم.

إنّنى أقترح على مؤسسة الحج تقديم تقرير عن المشاكل والصعوبات التى كان يعانى منها المعتمرون الذين ذهبوا إلى العمرة على نفقاتهم الخاصة- ولطالما كرر ذلك السيد رئيس قنصلية الجمهورية الإسلامية فى جدّة ومكاتب ممثلية الحج والزيارة فى مكة والمدينة- ليتمّ نشرها فى مجلة «ميقات الحج» ليطلع عليها عامة الناس.

كما أقترح ترتيب لقاءات خاصة مع الزائرين الذين عانوا من تلك المشاكل، ليكون ذلك رادعاً للذين يتخذون المواقف ضد مؤسسة الحج والزيارة.

ونحن بدورنا قدّمنا تقريراً فى جميع ما ذكرناه آنفاً إلى السيد القائد سماحة آية الله الخامنئى، فأمر سماحته بأن يكون العمل فى كل ما يرتبط بامور العمرة مركزياً كما هو الحال فى الحج والزيارة، والتصدى القانونى لكل من يتخلّف ويعمل على خلاف ذلك.

ص: ۱۰۴

يذكر أنّ مؤسسة الحج والزيارة قد تحمّلت الكثير من المشاكل عبر هذه القنوات، ولكنّها لا تزال صامدة لتتمكن من أداء وظائفها على أفضل وجه، ونحن نأمل عدم تكرر مشاكل العام الماضى، ونرجوا لمؤسسة الحج والزيارة تهيئة أجواء هادئة وجيدة للمعتمرين فى السنة القادمة.

ميقات الحج: أصدرت الدولة السعودية بياناً يسمح بالتشرّف بالحج كلّ خمس سنوات مرة واحدة، ما هو رأيكم فى ذلك، وما هى وصيتكم للناس؟

الشيخ الرىشهرى: لا نعلم إلى الآن أن قرار الدولة السعودية فى هذا الشأن هل هو قطعى أم لا؟ لكن لو نفّذت السلطات السعودية ذلك فهو فى رأينا عمل جيّد. لو يفسح الذين تشرّفوا بالذهاب إلى الحج المجال أمام المستطيعين- ممّن لم تسنح له الفرصة بسبب العدد المحدود- للتشرف بالحج، فانّ ذلك

ص: ۱۰۵

عمل مفيد قطعاً، ليس على مدى خمس سنوات بل إلى الأبد.

لقد سألت فى لقائى السيد غلام الله وزير الحج الجزائرى، فقلت له: كيف تتعاملون مع هذه المشكلة؟ فأجاب: لقد تمكّنا من إرسال ثلاثين ألف حاج من أصل مائة وثلاثين ألف شخص، لذا نحن فى كل عام نرسل الحاج على أساس القرعة، والمشاركون فى القرعة هم ممن لم يذهب إلى الحج قط، وليس لمن ذهب مرة واحدة إلى الحج حق المشاركة فى صناديق الاقتراع، والأمر الملفت للنظر أنّ القرعة لو لم تصب اسم الشخص المتقدم بالطلب فإنّه يمنح فى القرعة الثانية سهمان، فإن لم تصب ففى القرعة الثالثة ثلاثة أسهم، فإن لم تصب القرعة اسمه أبداً فانه يذهب إلى الحج بلا قرعة.

وباعتقادى، إن هذه السبل أقربها إلى العدل، وقد ورد فى بعض الأخبار أن أول عدل يقيمه الإمام المهدى بعد ظهوره فى المسجد الحرام أنّه لا يسمح بأداء الطواف

ص: ۱۰۶

المستحب حتى يتمكن أهل الطواف الواجب من أداء طوافهم، فإنّه إذا منع من الطواف المستحب فإنّه سوف يمنع عن الحج المستحب بطريق أولى، إلّا أن تكون الإمكانات بنحو يتمكّن عامة الناس معها من اغتنام فرصة الحج، وعليه، فإذا كانت حصة الجمهورية الإسلامية (۹۰) ألف حاج، فلابد من تخصيصها بمن لم يؤدّ حجه الواجب، ولا شك أن الذين ذهبوا لأداء الحج الواجب بإمكانهم فسح المجال أمام الآخرين لأداء حجهم الواجب، ويأتوا بدل ذلك بالعمرة.

يذكر أن لدينا أعداداً كثيرة من المتقدمين بطلب الحج من دون أن نشترط عليهم شيئاً سابقاً، وقد لا نتمكن فى‌الوقت الحاضر من القيام بذلك، لكن يمكننا اتخاذ التدابير اللازمة بهذا الصدد فى المستقبل، وإن كان القرار النهائى فى هذا المجال بيد الدولة ومسؤولى الحج والزيارة، لكنه لو وضع فى المستقبل مثل هذا القانون فإن تنفيذه سوف يكون أمراً سهلًا.

ص: ۱۰۷

ميقات الحـج: مات فى حـج العام الماضـى فى رمى الجمرات عـدد من الزائرين غير الإيرانيين، ما هو تقويمكم لهـذه الحادثة؟ وما هى الحلول المقترحة لذلك؟

الشيخ الرى‌شهرى: فيما يتعلق برمى الجمرات هناك مشكلتان أساسيتان:

الأـولى: قلّـة الإمكانات فى منى والجمرات، فعلى الرغم من الجهود المبذولـة فى السـنوات الأخيرة لم تلب الإمكانات الموجودة حاجة هذا الجمع الغفير.

الخطوة الأولى التى يجب اتباعها فى حل هذه المشـكلة تكمن فى فصل طرق السـيارات عن طرق المشاة، أو منع اقتراب السـيارات فى أيام التشريق من الجمرات.

لو أمكنت الاستفادة من الإمكانات الموجودة فى العالم باتجاه فتح أنفاق تحت الأرض لما وجد هذا الزحام الذى لا يحتمل.

وأيضاً لو منع الزائرون من النوم فى الطرق، ومن الجلوس على طريق الجمرات لكانت المشكلة أقل مما هى عليه الآن

ص: ۱۰۸

قطعاً.

أمّا مشكلة التجمّع الشديد للزائرين فيمكن حلّه بإيجاد أبنية وعمارات مرتفعة وذات طبقات متعددة، فما أفتى به بعض علماء السنة من عدم جواز بناء عمارات سكنية فى منى كلام غير صحيح، ولا يستند إلى دليل تام.

نعم، تمّ بحث الجمرات أخيراً لكنه لم يتم الاتفاق على عدد الطوابق فى البناء، ومن الطبيعى لو أنّ ذلك بلغ مرحلة التنفيذ لقلّل من المشكلة إلى حد ما.

وهناك اقتراحات اخرى أيضاً مثل أن يكون الذهاب إلى الجمرات على شكل جماعات كما فى ترتيب الخيام حسب المناطق، لكن ما لم يخضع ذلك للبحث والدراسة العلمية والدقيقة من قبل المختصين لا يمكن للشخص أن يبدى رأيه النهائى فيه.

إن على فقهاء السنة الإفتاء بسعة الوقت كما يقول به فقهاء الشيعة، بأن يسمحوا بالرمى من طلوع الشمس إلى الغروب ليتم تقسيم الزائرين على طول النهار ويقل الازدحام.

ص: ۱۰۹

إن موت الكثير من الزائرين فى رمى الجمرات أمر لا يمكن تبريره والدفاع عنه، ولا بد من إيجاد حلّ ذلك.

ميقات الحج: تحاول قوات الشرطة السعودية استخدام مختلف الطرق والوسائل لغرض استقرار الحجاج فى المشعر حيث يؤدى ذلك إلى مشاكل كثيرة للحاج، هل لديكم حلول لذلك، و هل أن هذه المشاكل ترفع- عن طريق البعثة ومؤسسة الحج- إلى المسؤولين السعوديين؟

الشيخ الرىشهرى: فى رأيى يمكن حلّ هذه المشكلة إلى حد ما إذا كانت هناك إدارة صحيحة، وتمّ استخدام السبل المتطورة فى تنظيم حركة السيارات وكيفية توقفها.

من الطبيعى توقف عدد كبير من السيارات على مشارف المشعر الحرام مما يسبب مشاكل فى السير، لكن من الممكن استخدام وسائل أخرى للنقل مثل القطار داخل المدينة، فهل من ضرورة تدعو إلى الإتيان بهذا الكم الهائل من السيارات إلى محل أداء الشعائر لكى نصنع بأنفسنا

ص: ۱۱۰

هذه المشكلة فى السير؟ إن معاجلة مثل هذه المشاكل لها علاقة بطريقة الإدارة.

بدورنا، نقوم فى كل سنة باستقصاء المشاكل وجمعها، ومن ثمّ إرسالها إلى وزارة الحج السعودية، وقد كان ذلك مؤثراً أحياناً، ومن المقرر فى هذه السنة استقصاء المشاكل وإرسالها إلى الوزارة المذكورة.

ميقات الحج: ماهى الثغرات الثقافية للحج والعمرة فى رأيكم؟

الشيخ الرى‌شهرى: بإعتقادى إن أهم ما تواجهه جميع البلدان الإسلامية فى الجانب الثقافى هو عدم الاطلاع والمعرفة الكافية بما يرتبط بأسرار الحج وفلسفته، فإن الكثير من المسلمين لا يعرفون ما هو الهدف من الذهاب إلى الحج، كما لا يعرفون الهدف من التلبية والطواف و ...

وهذا بحاجة إلى إعلام قوى وإلى عزم وإرادة ثقافية عالمية جادة، ولا نرى- وللأسف- لكلّ ذلك عيناً ولا أثراً

ص: ۱۱۱

بين هذه الدول، ذلك أن الكثير من قادة العالم الإسـلامى يرى أن مصـلحته الشخصية هى بقاء الامة فى الجهل وعدم المعرفة، كما أنه يعلم أن الحج لو فسّر بالمعنى والمفهوم الحقيقى له لواجه بسببه المستكبرون الكثير من المشاكل.

إذن لا بـد فى الخطوة الأولى من تفهيم المجتمع المسـلم فلسـفة الحـج، وفى الخطوات الاخرى ترميم الثقافـة فى كافـة المجالات، مثل ثقافة الصلاة أول الوقت، ثقافة الزيارة الصحيحة، ثقافة العشرة الصحيحة، ثقافة الاهتمام بصلاة الجماعة، الاهتمام بالقرآن و ... فإن هذه الامـور لو لم تكن بالشـكل الثقـافى المطلوب، لكـان الأمر على ما نراه أحياناً، فمثلًا نرى البعض فى وقت صـلاة الجماعـة يجلس على أعتاب المحلّات، أو لا يذهب إلى الصـلاة، أو يدور فى الأزقة والطرقات بلا هدف، فالشـخص الذى اعتاد فى إيران على عدم الذهاب إلى صلاة الجماعة أو عدم الصلاة أول وقتها لا يمكن التأثير فيه عبر محاضرة أو محاضرتين، كذلك العمل الثقافى لا بد فيه من تضافر جهود مؤسسات الدولة

ص: ۱۱۲

ومراكزها الثقافية كافّة.

وهناك مشكلة لا بد من حلّها عن طريق الحوزات العلمية، وهى اختلاف فتاوى مراجع التقليد، وذلك ليتمكن علماء الدين فى البعثة من الإجابة عن الأسئلة الشرعية للزائرين، ولكى لا تنقدح الشبهات- لا سمح الله- فى أذهان عامة الناس، خصوصاً الطبقة المثقفة.

وهناك أيضاً مشكلة ثقافية أساسية شغلت بعض الزائرين كثيراً وهى قضية شراء الهدايا والحاجيات، فإنّ ذلك وإن كان أمراً مستحباً فى الشرع، إلّا أنّ الإفراط فيه غير صحيح، إذ قد يقترن أحياناً وقت هذه المشكلة مع الصلاة أول الوقت، وقد رأينا أن ذلك يشوّه صورة الشيعة وإيران الإسلامية.

بالطبع، هؤلاء الأفراد ليسوا بالكثيرين، إلّا أنّهم على قلّتهم بإمكانهم القدح بشخصية مجموع الحجاج الإيرانيين.

ميقات الحج: للحج ثقافة عظيمة وشاملة، إلّا أنّها لم تستنفذ تماماً، ماهى

ص: ۱۱۳

السبل المناسبة المقترحة فى سبيل توسعة رقعة الإستفادة من ثقافة الحج وتأثير هذه الفريضة فى نفوس الحجاج؟

الشيخ الرى‌شهرى: من أجل اغتنام الفرصة والاستفادة التامة من ثقافة الحج والتى هى فى الحقيقة واسعة ومعطاء لابد أولًا من العزم والإرادة الجادة لجميع البلدان الإسلامية فى هذا المجال، لأننا لو وضعنا لأنفسنا برنامجاً معيّناً فلن يكون الحال أفضل مما عليه الآن، بل لا بد من المشاركة الفاعلة لجميع البلدان فى ذلك.

أما على المستوى الداخلى للبلاد فإن بعثة السيد القائد بما فيها من إمكانات ومكانة و كوادر فاعلة لا تستطيع الاستفادة من ثقافة الحج أكثر من ذلك، وإن كان ما قمنا به إلى يومنا هذا بالمستوى المطلوب، والحمد لله.

عندما يتعذّر على البعثة استخدام موظفين لها فإن من الطبيعى أن تغدو عاجزة عن الاستفادة المطلوبة من الحج وكما تريد.

ص: ۱۱۴

بل حتى لو توافرت للبعثة الإمكانات اللازمة فلا هى ولا مؤسسة الحج ستكون قادرة على الاستفادة التامة من ثقافة الحج، لما يتطلبه ذلك من جهود مكثفة للمسؤولين الثقافيين لتتجسّد نتيجة أعمالهم وتظهر فى الحج.

ثم إن هناك مسألةً لا بد من الإشارة إليها، وهى المبالغة أحياناً فى الإعلان عن الأرقام، إذ البعثة- بسبب الضعف الموجود فى قسم العلاقات العامة- عاجزة عن إعلان ما قامت به من نشاطات وبيانه للُامة، وإنّى اعترف بهذا الضعف، حتى أن البعض قد يتقدم لنا ببعض المقترحات وعندما نقول له: إننا فعلنا ذلك أو قمنا بطبع الكتاب الفلانى يتعجب، ويقول: إنه لم يكن يعلم بذلك.

ص: ۱۱۵

ميقات الحج: مضى على افتتاح طريق العتبات المقدسة مدة وقد تشرّف الكثير بزيارتها، ماهو السبب فى عدم أخذ مؤسسة الحج والزيارة بزمام ذلك؟

الشيخ الرى‌شهرى: لهذه القضية أسباب عديدة، نذكر منها:

السبب الأول: غموض الوضع السياسى والأمنى فى العراق، وما دام لم يحن الوقت لاستلام الحكومة الشرعية ولم تتسلم مهامها فالوضع سوف لا يكون أفضل مما عليه الآن.

السبب الثانى: التصرف اللّامسؤول لبعض المؤسسات الداخلية.

لقد اتضح تدريجياً وبسبب الأحداث والمشاكل التى واجهها زائرو العتبات المقدسة أنه لو لم تكن الرحلات تحت رعاية وإشراف مؤسسة الحج والزيارة، فإنه سوف يهدد الزائرين الكثير من المشاكل

ص: ۱۱۶

الثقافية والسياسية والأمنية.

ميقات الحج: هناك من يقول بأن زيارة العتبات المقدسة فى العراق يجب أن تكون كزيارة الإمام الرضا (ع) فى مشهد، هل هذا الكلام صحيح، علماً بأن العراق لا يملك الإمكانات اللازمة، كما أنه فاقد للأمن وغيره من الأمور؟

الشيخ الرى‌شهرى: لا- يمكن أن يكون ذلك صحيحاً قطعاً؛ لأن زيارة عتبات العراق تختلف عن زيارة مشهد تماماً، فنحن بلدان مستقلان لهما نحوان من السياسة، سواء فى الحاضر أو المستقبل، والوضع فى كلٍّ منهما تابع لقوانين ذلك البلد. صحيح أن فى العراق ضرائح ستة من الأئمة المعصومين وأن فى النجف وكربلاء وغيرهما الكثير من الشيعة، إلّا أن لكل بلد- فى الوقت نفسه- ضوابطه الخاصة به.

من جهة أخرى، فإن الوضع الاقتصادى فى العراق لا يسمح بتقديم الخدمات المناسبة للحشد الكبير من الزائرين الإيرانيين، فنحن فى مكة والمدينة- مع ما فيهما من

ص: ۱۱۷

إمكانات كثيرة- عاجزون عن إرسال الحجاج بـدون ضوابط وبلا حـدود، فكيف يمكن إرسالهم هكـذا إلى العراق وهو فاقـد للصـحة والأمن وغيرهما من الإمكانات؟!

إذن، فزيارة العتبات فى العراق تختلف عن الذهاب إلى مشهد، إذ لا بد من ملاحظة الوضع الاقتصادى والثقافى والسياسى للعراق بدقة وأخذ ذلك بنظر الاعتبار.

ميقات الحج: تعتبر حالة الرفاه فى الزيارة إحدى أهم آفات سفر الحج والزيارة، ما هى نشاطات مؤسسة الحج والزيارة فى هذا الصدد؟

الشـيخ الرى‌شـهرى: توفير الرفاه والراحة فى سفر الحج أمر جيّد وحسن، ليتمكّن الزائر من أداء أعمال الزيارة ومناسك الحج بفراغ بال تام، وقـد ورد فى الروايات أن على الـذى يريـد السـفر إلى الحـج أن يحمل معه طعاماً جيداً وغيره من الإمكانات، و أن يهتم بأصدقائه ورفقائه فى السفر.

ص: ۱۱۸

إن الشيء القبيح فى هذا السفر هو الإسراف، ولا يمكن التوسل بالقوة من أجل إيجاد حالة الاعتدال فيه، بل لا بد من أخذ رأى المختصين فى ذلك من أجل الخروج بأفضل طريقة للحدّ من الإفراط والإسراف.

ميقات الحج: يظهر أن أبناء شعبنا يميلون إلى السّوق وشراء الهدايا أكثر من الحد المتعارف، ما هو رأيكم فى ذلك؟ وما هى سبل الحل المقترحة فى ذلك لغرض إيجاد حالة الاعتدال؟

الشيخ الرىشهرى: رأينا فى مسألة شراء الهدايا واضح، فإننا نعتقد أن وقت الزائر يجب اغتنامه والاستفادة منه فى توفير الجو المعنوى والروحى، و أن الاهتمام البالغ حد الإفراط فى شراء الهدايا وإتلاف الوقت فى الشوارع والطرقات والأسواق آفة كبيرة فى هذا السفر الإلهى.

فمن أجل تحقيق هذا الغرض اتخذنا بعض المقررات فى ذلك، فأوجدنا معارض

ص: ۱۱۹

للشـراء، لكنها فشـلت بسـبب عدم المنهجية الصـحيحة فى العمل، ونحن الآن- وتحقيقاً لمطالب السيد القائد- بصدد البحث عن السبل المناسبة للوصول بالمشاكل المترتبة على الشراء إلى الحد الأدنى.

علماً بأن البعثـة ومؤسـسة الحـج لوحـدهما لا يؤثران كثيراً، كما أن اسـتعمال القوة فى هـذا المجال ليس مدعوماً بالقانون، ولا نرى من المصلحة القيام بذلك، لكننا نعتقد أن للإعلام واستخدام الطرق الثقافية الصحيحة، التأثير المطلوب فى ذلك.

ميقات الحج: نشكركم على إتاحة الفرصة لمجلة ميقات الحج.

ص: ۱۲۰

ما الحج، ومن هو الحاج؟

الأسس النفسية والتربوية

الدكتور غلام على افروز

عندَ الغور فى فلسفة وجود القيم الدينية وأسسها النظرية، وكذلك فى الواجبات والمحرّمات الشرعية، نتوصلُ إلى الحقيقة التالية، وهى أن خالق عالم الوجود و منظّمه عندما خلق الإنسان الذى هو أشرفُ المخلوقات وخليفة الله على الأرض، سَخَّرَ لَهُ كذلك جميع الإمكانات وهيأ له أساليب تعاليهِ ورشدهِ وفلاحهِ فى مُعترك الحياة الدُّنيا، بما يتناسبُ مع الفطرة والطبيعة البشرية.

بعبارة أخرى، فى الأيديولوجية الإسلامية والثقافة القرآنية، نرى أن جميع الواجبات والمحرّمات الدينية مبتيّةٌ

ص: ۱۲۱

على أساس الفطرة، والمنطق، والعقل السليم للإنسان، هذا الإنسان الذى يملك مَلكة التعقل وقدرة التمييز والاختيار.

وفى نظرة عامة، نستنتج أن جميع الواجبات والمستحبات الدينية، وكذلك جميع المحرّمات والمكروهات مبنيّةٌ على أساس نظام منطقى وقيمى واضح، بحيث مُنِعَ وحُرِّم كلُ ما هو مُضرٌ لِصحة وسلامة الإنسان وكلُ ما هو مانع لرُشدهِ الفكرى والنفسى والاجتماعى، سواءٌ بالفعلِ أو بالقوة، على المدى القريب أو البعيد، بصورة علانية أو سرّية، فردية أو جماعية ... وعلى العكس من ذلك أوجَبَ على كل إنسان بالغ وعاقل كل ما يؤدى إلى تعاليهِ و نموّهِ الجسدى والعقلى والروحى والأخلاقى والاجتماعى، والفرائض الدينية كذلك فُرِضت بطريقة بحيث إن كل انسان يستطيعُ أن ينال ما يطلبهُ من الكمال والفلاح والتوفيق على قدرِ استطاعتِهِ.

مثلًا عند التأمل العميق فى الأصول العامة والمعايير الحاكمة على بعض الأمور التى اعتبرت من المحرّمات، مثل تعاطى

ص: ۱۲۲

المشروبات الكحولية ولحم الخنزير والمواد المخدّرة، وكذلك الانحرافات الأخلاقية والسلوكية، مثل الكذب، والغيبة، والتهمة، والسرقة، والتطفيف، والخيانة، والظلم ... وأمثالها، نراها هى الأمور بعينها التى تؤثرُ على صحة الإنسان وسلامته، وتُعيقُ تكاملهُ العقلى والروحى (۱).

من الناحية الأخرى، نجدُ أن جميع الواجبات والتوصيات الإسلامية أرضية لتكامل الإنسان فى حياتهِ الفردية والعائلية والاجتماعية، والعملُ بها يضمنُ للإنسان روحاً سالمة وشخصيةً متكاملة، وكذلك مجتمعاً سالماً ومتطوراً.

ومن جملة هذهِ الواجبات والتوصيات: الصدق، وقول الحق، والعدالة، ومُحاربة

۱- تشيرُ نتائج الدراسات التى اجريت مؤخراً فى جامعة لندن بأن تعاطى الكحول والمخدرات حتى ولو بمقدار ضئيل، علاوةً على آثاره المخرّبة والمدمّرة على الأسرة والمجتمع، يؤدى كذلك إلى انقباض الخلايا الدماغية للإنسان، وكذلك لحم الخنزير فإنه يحوى هورمونات تفضى إلى اختلال الحالات الروحية للأفراد، و تُضاعفُ لديهم حالات التوتر والنزاع والمشاكسة والسلوك اللامتعادل.

ص: ۱۲۳

الظلم، ونُصرة المظلومين، والعفة والطهارة، والابتعاد عن المضرات، وتآلف القلوب والسعى لإيجاد الصُلح والوئام، وأداء الخُمس والزكاة لغرض تأمين احتياجات المعوزين، والإحساس بالمسؤولية، ومتابعة أمور المحرومين والمستضعفين، واحترام الوالدين وتكريم الأبناء، وطلب العلم ومكافحة الجهل والأمية، والتعاون وإبداء المُساعدة ... هذهِ الواجبات يعملُ بها كلُ صاحب دراية وفكر يؤمن بضرورة هذهِ الامور لحياتِهِ الفردية والاجتماعية.

عن الرسول الأكرم:

«مَن أصبَحَ ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»،

وفى حديث آخر: «الدين هو العقل والعقل هو الدين».

فالعاقل هو الشخص الذى يبنى حياتهِ الفردية و الاجتماعية على أساس المنطق، والحكمة والتطور والتعالى ... لربما يكونُ الإنسان صاحب ذكاء مُفرط ولكنّه يتصرفُ فى أغلب الأحيان تصرفاً غير منطقى، مثل التدخين لدى المتخصصين فى مجال الطب، فهم على الرغم من اطلاعهم على مضاره،

ص: ۱۲۴

لكنهم لا يأبهون بذلك.

إنّ الذكاء وسيلةٌ وأداة، والعقل يحُسّنُ الاستفادةِ من هذا الذكاء، فالإنسان الذى لا يعملُ بما يعتقدهُ ويؤمنُ بهِ لا يُعتبرُ إنساناً عاقلًا.

جاء فى كتاب الله الكريم:

يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (۱)

. وفى آيهٔ اخرى: أم تقولون على الله ما لا تعلمون (۲).

ومن الواضح جداً أن أسمى وأجمل تعبير

۱- الصف: ۲.

۲- البقرة: ۸۰.

ص: ۱۲۵

لهذهِ القيم الإلهية المتعالية يتجسد و يتبلور فى سلوك الموحّدين الأحرار الذين هم على اتصال دائم بخالقهم عن طريق إقامة الصلاة، فعن الرسول الأكرم: «مَن يُريدُ أن يتكلم مع الله فليُصل، و مَن يُريدُ الله أن يتكلمَ معهُ فليتلو القرآن».

الصلاة هى الجواب الأمثل للتعبير عن الشُكر والتقدير للخالق المنّان لأقصى ما يبغيهِ البشر ويسعى للوصول إليه، ألا وهو الازدهار والوصول إلى درجة الكمال.

الصلاة مصفاة الوجود، وتناغم الخالق والمخلوق، والجواب الدائم على الاحتياجات الإنسان الروحية والفطرية، منهجٌ غير مُقيّد بعاملى التاريخ والجغرافية، وفرصةٌ مُتاحة لأى إنسان حر ومُفكر وشكور لكى يقف عند اللزوم وفى أوقات معلومة على منصة المعراج، ويتغنى بنشيد الحرية، ويبوح بمكنونات قلبهِ عن طريق الشكر للخالق الرحمن الرحيم.

أما الصوم، فهو منهجٌ تربوى آخر، يُهيئُ الأرضية للنمو الحيوى والنفسى

ص: ۱۲۶

والاجتماعى المطلوب، وواجبٌ على كل إنسان صالح وسالم وفى أيهٔ نقطهٔ فى العالم أن يقف فى صفوف المسلمين فى شهر رمضان المُبارك ويُشاركهم فى أداء هذا المنهج العام الذى هو مُعسكر تهذيب النفس، وتكوين الشخصيهٔ، وتحطيم القيود والعادات اليوميهٔ والنفسيهٔ والاجتماعيهٔ، وتقويهٔ الإرادهٔ، والاتكال على الذات، والسعى للوصول إلى قمهٔ الفلاح.

إنّ المعنى الدقيق للتربيهٔ يبدأ من تحطيم العادات، وبتعبير آخر، حتى العادات الحسنهٔ ليست بالحسنهٔ، الصلاهٔ أيضاً يجبُ أن لا تؤدى على أساس العادهٔ والتكرار، بل يفترض أن يكون كل عمل وسلوك مقروناً بالوعى والنيهٔ والإرادهٔ.

الصوم منهجٌ يهدفُ إلى ازدهار الفرد وتحوّله، وحركهٔ مُستهدفهٔ ومؤثرهٔ فى طريق القضاء على الفقر، وتحقيق العدل، وسلامهٔ المجتمع وتعاليهِ.

لا شك أن عمليهٔ جمع نفقات الزكاهٔ والفطر وتوزيعها العادل بين المحتاجين فى أى مجتمع من المجتمعات الإسلاميهٔ، هى خطوهٔ

ص: ۱۲۷

مؤثرة وإيجابية فى طريق مكافحة الفقر وضمان حاجات المسلمين الغذائية لفترة زمنية معينة، ومن الناحية الأخرى تبيّنُ التقارير السنوية التى يقدمها مسؤولو القضاء والشرطة بأن مُعدّل الجرائم والمخالفات الأخلاقية تقلّ عادةً فى شهر رمضان بشكل جدير بالملاحظة.

وأخيراً، الصوم هذهِ الفريضة التربوية مثلُها مثلُ الطبيعة مُعرّضة بعد عام من ممارستها وتجربتها إلى التغيير والتحول وإعطاء الثمار، بالضبط كمزارع مُثابر، يحرثُ الأرض فى كل عام قبل نثر البذور الجديدة كى يتخلص من الأعشاب التالفة والمخرّبة للزروع، وبهذا تستطيع البذور الجديدة أن تنمو فى أرض مناسبة، شهر رمضان المبارك كذلك يخلقُ الأرضية المناسبة الخالية من الآفات المحتملة التى تمنعُ النمو والرُشد المطلوب للإنسان.

و من هذا المنظار، الصوم حاجة طبيعية لتطهير الجسد والروح، وعاملٌ مساعدٌ لنمو الإنسان وتعاليهِ.

أما الحج، هذا المنهج التربوى التهذيبى، الذى نجده- لدى مقارنتِهِ مع

ص: ۱۲۸

المناهـج التربويـة الأخرى مثل الصـلاة والصوم- مُقيّـداً عادةً بعاملى الزمان والمكان، ولهذا فهو مُتفقٌ معالصوم والصـلاة فى إنجازه فى زمـان معين، ولكنه يختلفُ عنهما فى أن مناسـكهِ لا يمكنُ أداؤها فى أى مكان نختارهُ، بل تؤدى دائماً فى منطقـة خاصـة، وفى أرض مقدّسة، وفى موعد واحد، وفى محيط آمن.

الحج تطهير النفوس فى بحر الوجود، ومجابهة الشرك، والدعوة للتوحيد، وكذلك تصفية الوجود، وتطهير الجسد والروح بماء الرحمة الإلهية.

الحج هو التخلص من القيود والتعلقات والأنانيّات، وتجربة الحياة فى ظل التوحيد.

الحج أمر واجب- بالدرجة الأولى- على الأشخاص المستطيعين، بينما الصلاة والصوم، أمران واجبان على كل المؤمنين بالله والسالكين طريق الحق.

جاء فى الكتاب الكريم: لا يكلّف الله نفساً إلا وُسعها (۱)، فبحسب النظام الإلهى،

۱- البقرة: ۲۸۶.

ص: ۱۲۹

على كـل من باسـتطاعتهِ حضور مراسم الحـج العظيمـة وأداء مناسـكهِ وتـأمين نفقـاتهِ، زيارة بيت الله الآمن، والهجرة من النفس الأمّارة والالتحاق بالخالق المنّان.

وفى الواقـع، إن الـذين يتمتعـون بإمكانـات ماليـة واجتماعيـة أكـثر فى حيـاتهم، معرّضـون أكـثر مـن غيرهـم للانحرافـات الاجتمـاعية والأخلاقية، لهذا إن لم يكن الثراء مقروناً بالتزكية وتهذيب النفس فإنّ بإمكانه أن يكون عاملًا مساعداً على التمرّد والطغيان.

إنّ على الإنسان الثرى تكاليف أكثر من غيره، ولا شك أن الشخص الذى يملك نصيباً أوفر من النِعم الإلهية ويتمتع بقدرة بدنية وفكر خلّاق وإمكانـات إقتصاديـة عاليـة، يجبُ أن يكون لـديهِ إحساس بالمسؤوليـة أكثر من غيره، وأن يسـعى دائماً لأداء رسالتهِ الشخصـية والاجتماعية عن طريق تهذيب النفس، وصفاء القلب، واكتساب توفيقات وافرة.

لذا كان الحج واجباً على كل إنسان متمكن، لئلا تكون هذهِ الاستطاعة وهذا

ص: ۱۳۰

التمكن والثراء والمنزلة الاجتماعية سبباً للتباهى والتفاخر والتسلط والتمرّد والطغيان.

الحج منهج شامل للتخلص من جميع الآفات المتعلقة بشخصية الإنسان، وتحصين النفس من وساوس الشيطان، فلو تأملنا فى سير مناسك الحج وأعماله وأحكامِه من البداية حتى النهاية، لاستطعنا أن نستنتج بأن الحج هو تصفية النفس من جميع الآفات الروحية والانحرافات الاجتماعية، وهو صياغةٌ للشخصية التى يمكنُ الاعتماد عليها، مصونةً من الفساد، هادئةً ومتواضعة، تتحكمُ بشهواتها النفسانية والمؤثرات المحيطية، متوكلةً على الله، ومُبتعدة عن الطمع والتباهى والتسلّط، وخالصة فى عبادتها لله عزّ وجلّ.

كل من يتأمل ويفكر فى هذا السفر الإلهى يتولدُ لديه إحساس بأنه يُريدُ أن ينتقل إلى عالم آخر، ولهذا عليهِ التخلّص والتحرّر من القيود الدنيوية، وكذلك من التشويشات والاضطرابات النفسية، من القلق ومن تعلقات الدنيا واضطراباتها، وكذلك الاضطرابات الناجمة عن العلاقات

ص: ۱۳۱

الاجتماعيـة، والتعامـل بيـن الأفـراد، لكى يبلـغ أرض التوحيـد بقلب آمن ومطمئن، لـذا عليهِ أن يطلب إبراء ذمتهِ من أهـل بيته وأقـاربهِ ومعارفِهِ وجيرانِهِ وزملائِهِ وغيرهم، ويطلبُ المعذرة ممن أساءَ لهم يوماً ما أو اغتابهم، و بهذا يكون قد أزالَ غبار الحقد والضغينة.

علاوةً على هـذا، يجبُ على كل شـخص عازم على الحـج أن يسـدّد جميع ديونه الشـرعية والقانونية، ويرسم لنفسهِ صورةً واضـحةً عن وضعه المالى وتسوية حساباتهِ وتعهداتهِ الأخلاقية والاجتماعية، ويقدمها لعائلته أو لوصيّه، لأن سفر الحج لا يكونُ مقبولًا إذا لم يدرس الحاج الماضى والحاضر، وإذا كان غافلًا عن الحلالِ والحرام.

كلمـة الحـاج ليست صـفةً يَتحلى بها بسـهولة أى مُسافر لبيت الله، وإنّما تتطلب أن يتحلّى هـذا اللقب بجميع الفضائل الأخلاقيـة والقيم الإنسانية، ويتنزّه عن جميع الرذائل الأخلاقية، ويتحرّر من الأهواء النفسية.

وأنت أيّها الإنسان المسلم إذا أردت

ص: ۱۳۲

أن تنال لقب الحاج، هـذا المقام الشامخ، يجبُ أن تتحمّل المشـقّات، وأن تخرج من صـفة الذات، وتتوحّد وتخلص لله الواحد الأحد، وأن تصـفّى قلبك من الشوائب قُربةً إلى الله، وتفرّغه من كل ما هو باطلٌ وتستبدلهُ ببذور حب الله عزّ وجلّ، وتُطهّر جسدك وروحك بماء الرحمة الإلهية، وتبدّل لباسك المميز (الذى يميّزك عن غيرك) بلباس الإحرام الأبيض اللون الذى لا يميّز شخصاً عن آخر.

إن جانباً من الهويـة الفردية للإنسان يتعيّن من خلال الملابس، فعندما يلبسُ فريقٌ من الناس اللباس الموحّد مثل مرضـى المستشـفيات، الجنود، الحجـاج المكفنين بلباس الإحرام، عنـد ذاك تنهـدمُ الفوارق وتزولُ، ولهـذا السـبب نجـدُ أن البعض من الأثرياء الراقـدين فى المستشفيات يفضّلون أن يلبسوا ملابسهم الشخصية فى المستشفى حتى يتميزوا عن غيرهم.

يجب أن يكون الحاج مقاوماً للنزعات والميول النفسية، ولديهِ إيمان وعزمٌ وتوكل راسخ، و نيّة خالصة، ودوافع

ص: ۱۳۳

مقدّسة، ولا يغفل لحظةً عن السعى فى مجالات الصدق والصفاء والمروءة والإيثار.

جاء فى كتاب الله الكريم: وأن ليس للإنسان إلى ما سعى (۱)، ومن آياته أيضاً: بَل الإنسان على نفسه بصيرة (۲).

وجميع علماء النفس والأطباء النفسانيين يدركون هذهِ الحقيقة، وهى أن أهم الآفات الأخلاقية والانحرافات السلوكية على مدى الأزمنة وفى كل مكان فى العالم، سببه العجز عن التغلّب على الأهواء والميول النفسية.

الخالق المنّان الذى خلق الإنسان على شاكلته، عليمٌ بجميع القوانين التى تحكم النفوس والخصوصيات والحاجات الفطرية للإنسان، وهو يريد أن يبتلى الإنسان المتمكّن ويمتحنه.

بصورة عامة، على كل من يُريد أن يصبحَ حاجّاً أن يعمل بالنصائح التالية:

۱- تجنّب التكبّر والتبرّج: فى حال الإحرام لا يجوز النظر فى المرآة أو

۱- النجم: ۳۹.

۲- القيامة: ۱۴.

ص: ۱۳۴

التعطّر أو لبس الخواتم.

۲- الابتعاد عن الكسل و عدم الاهتمام بالغير: لا يجوز وضع شيء على الرأس، وتغطيتِهِ وأنت فى حال الإحرام.

۳- اجتناب إيذاء النفس وإيذاء الآخرين: قتل الحشرات، وإراقة أى دم حرام.

۴- التحرّر من الأفكار العدوانيـة والمخرّبـة والمشاكسـة: لا تجوز المجادلـة، وحمل السـلاح بكل أنواعهِ، وكذلك قلع الأشـجار، وقتل الحيوانات.

۵- الابتعاد عن أنواع المباشرة والأهواء الجنسية: لا يجوز ممارسة الأعمال الجنسية.

۶- الابتعاد عن التفاخر والمباهاة والتعالى.

۷- الاحتراز عن البذاءات والإهانات والإساءة للآخرين.

لأن بروز هذه الصفات- سواء فى الحياة الفردية أو الاجتماعية- من الآفات الأساسية المعيقة لتطوّر الإنسان والمضرة بشخصيته، والحاج هو من يستطيع أن يجتاز باقتدار تلك العقبات، و يصل إلى أسمى

ص: ۱۳۵

المراحل، ألا وهى مرحلة التضحية بأعزّ ما لديهِ.

التضحية مرحلةٌ شامخة من مراحل الحج العظيمة، والآن وأنت ترغب فى أن تكون حاجّاً وتنال مقام نبى الله إبراهيم (ع)، عليك أن تتّحد فى صف المنادين الحقيقيين لعبارة: «لا ـ إله إلا ـ الله»، و أن تتفوّه من سويداء قلبك بكلمة: لبيك، يجبُ عليك أن تُضحى بإسماعيلك كما ضحى به إبراهيم (ع)، وبهذا تكون قد أفلحتَ فى تصفية النفس، والغلبة على الأهواء والانفعالات النفسية، وصولًا إلى صقل الجسد والروح، والخلوص والتوحيد.

أعزّ ما كان يمتلكهُ إبراهيم (ع) بعد عُمر من الانتظار وقرن من الشقاء وتحمل الصعاب، هو ولد عزيز، وشاب جميل الطلعةِ والسيرة، وفى لحظة اختبار صعبة اقتضى الأمر أن يجتث صِلاتهِ و جذورهِ بأعزّ ما يملك، حيث أتى النداء يقول: يا إبراهيم لقد انتصرت، فضحِّ بقربان بدلًا عن إسماعيل.

ضع فى طَبَق الإخلاص كل ما لديك: رصيدك، أولادك، زوجك، مقامك، ماء وجهك، شُغلك،

ص: ۱۳۶

شُهرتك، أطماعك، جَشعك ... والآن وأنت تُريدُ أن تصبح حاجاً وتصل إلى أعزّ منزلة بين المسلمين وتنال العزّة الإسلامية، فكّر بإسماعيل خالصاً ومخلصاً فتأمل.

نعم، ضحِّ بإسماعيلك فى مسلخ العشق والتضحية، وعُد إلى بلدك وأهلك منصوراً كالمصطفين من عباد الله، بقلب مطمئن وآمن، والآن قد أصبحت ذا سلوك كأنك ولِدت مرةً أخرى، يخفقُ قلبك من أجل الله فقط لا غير، لا تقول غير الحق، ولا تبحث عن غير الحق، ولا تخطو خطوةً فى غير طريق الحق، يرغبُ كل الناس رجالًا ونساءاً، صغاراً وكباراً أن يشاهدوا فيك القيم الإسلامية والقدوة المتعالية للشخصية الإسلامية، فى سلوكك الفردى والاجتماعى.

الحاج هو مظهرُ المقاومة أمام طُغيان النفس، وهو تفسيرٌ للصدق والصواب، و تجسيدٌ للمغفرة والتضحية، وتبلورٌ للمحبة والمنطق، ورمزٌ للصفاء والمروءة، وكما جاء فى القرآن الكريم: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (۱).

۱- الفرقان: ۶۳.

ص: ۱۳۷

خزيمة بن ثابت الأنصارى، ذو الشهادتين

حسن الحاج

قيض الله سبحانه وتعالى نفوساً طيبة من أصحاب رسول الله، ومن رواد مدرسته الربانية المباركة، وقد ملئت قلوبهم إيماناً وصلابة ووعياً وبصيرة ثاقبة، وهيأها لكى تجنى ثمار إيمانها الواعى وسعيها الحثيث، وكدحها الدؤوب، وجهادها المتواصل، وتسابقها فى الخيرات، و لصدقها وإخلاصها فى جميع ذلك، فقد حباها نبى الرحمة صلوات الله وسلامه عليه بدوره أوسمة رفيعة، ومناقب جليلة، وشمائل عالية، وصفات جميلة، صارت من أجلّ الألقاب التى يحبونها، وراحت تتزين

ص: ۱۳۸

بها أكتاف أصحابها بحق، ويتفاخرون بها دون تعال وتكبر، وحفظتها لهم الأجيال والتاريخ ومصادره ...، فيما اشرأبّت إليها أعناق آخرين دون جدوى.

فبعضهم حظى بها بعد استشهاده أو وفاته:

فحمزة بن عبد المطلب كان يلقب أسد الله فى حياته وسيد الشهداء بعد وفاته.

وجعفر بن أبى طالب وصف بأنه جعفر الطيار ذو الجناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء.

وحنظلة بن أبى عامر الراهب غسيل الملائكة.

وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن ...

وبعض حظى بها فى حياته:

خزيمة بن ثابت هذا الصحابى الكبير الذى نحن بذكره، كان واحداً من القلة الذين منحتهم السماء وساماً رائعاً ألبسه رسول الرحمة له (خزيمة ذو الشهادتين) أى عدت شهادته بشهادة رجلين، لصدقه وعدله ونفاذ بصيرته ووعيه وعمق إيمانه، فظل محتفظاً به حريصاً

ص: ۱۳۹

عليه، لم يفرط فيه طيلة حياته الإيمانية والجهادية، حتى اقترن بوسام آخر أجل منه وأعظم، إنه وسام الشـهادة المباركة، ليختم به عمره، ويختصـر به الطريق إلى حيث الفردوس الأعلى فى جنة عرضـها السماوات والأرض ... مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (۱).

وهكذا ظل وما زال هذا الأنصارى الأوسى الخطمى المدنى يعرف بذى الشهادتين، وإذا ما ذكر اسمه عقّب بعده

۱- سورة النساء: ۶۹.

ص: ۱۴۰

مباشرة بهذا الوسام، الذى لم يناقش أو يشكك فى نسبته إليه أحد أبداً، بل ولم يذكر اسمه إلا وهو مقترن بهذا اللقب إلا قليلًا.

نسبه:

هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان- ويقال: عنان- بن عامر بن خطمة، وقيل: حنظلة، وقد صوّبوا الأول.

واسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر.

هذا نسبه من أبيه.

وأما من أمه، فهى كبشة بنت أوس بن عدى بن أمية بن عامر بن ثعلبة.

وفى نسبه اختلاف، وقيل: حنظلة بدل خطمة، والصواب خطمة بغير شك .. وهو عامر بن خطمة الوارد فى نسبه من أبيه، وهو الذى ورد فى طبقات ابن سعد (۱) فى ترجمة كبشة. وربما يكون المقصود بثعلبة هذا هو جده ثعلبة بن عمرو بن عامر، وقد اكتفى بذكره اختصاراً.

۱- طبقات ابن سعد ۳۵۴: ۸.

ص: ۱۴۱

وختاماً، فخزيمة بن ثابت هذا هو ذو الشهادتين، وهو: أبوعمارة الأنصارى الأوسى الخطمى المدنى، من أشراف قبيلة الأوس. أحسن الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم. وإن لم يتيسر لى معرفة أول إسلامه، فابن هشام فى السيرة النبوية لم يورد اسمه فى الذين بايعوا رسول الله فى العقبتين الأولى والثانية ولا حتى الأخيرة، إلا أنه وبعد أن شرح الله سبحانه وتعالى صدره للإيمان عاش الإيمان بروحه وشعوره ووجدانه، وأحب الله تعالى ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم بصدق وإخلاص واستقامة، لا- يشوبها شك ولا يخالطها تردد، هدفه الأول والأخير رضا الله تعالى وجنة عرضها السماوات والأرض، فكان بحق من مصاديق هذه الآية المباركة: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى

ص: ۱۴۲

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (۱)«۱».

وقد راح هو وصاحبه عمير بن عدى يكسران أصنام بنى خطمة قومهم بلا خوف من عقاب (۲).

شهد مشاهد وغزوات رسول الله، ومنها معركتا أحد والخندق، وما بعدهما من المعارك والغزوات.

أما معركة بدر الكبرى فلم يذكره ابن هشام فى عداد المشاركين فيها.

ويبدو أن هذا- وقد يكون هناك غيره- هو السبب الذى أوجد الخلاف بين المؤرّخين فى مسألة حضوره بدراً أو عدمه، إلا أنهم اتفقوا على حضوره ما بعدها من المشاهد مع رسول الله.

كان خزيمة من المشاركين فى غزوة مؤتة بناحية الكرك بالبلقاء فى جمادى الأولى لسنة ثمان من الهجرة، حيث خاض هناك- هو ومن معه- معركةً لم يخض المسلمون

۱- التوبة: ۱۰۰.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸ وغيره.

ص: ۱۴۳

معركةً مثلها، فقد تدرّع المشركون الروم بالعتاد والجند ما يملأ السهل والجبل وما لا طاقة للمسلمين به، كما وصف ذلك عدد من المؤرخين، فاستشهد الكثير ممن كتبت له الشهادة بمن فيهم أمراء جيش المسلمين الثلاثة الذين استعملهم رسول الله، وهم: زيد بن حارثة، فجعفر بن أبى طالب، فعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم جميعاً (۱). فيما عاد المقاتلون الذين كتبت لهم السلامة إلى المدينة والألم يعتصر قلوبهم مما جرى ...

ومن الطبيعى أن تبقى أشياء كثيرة من ذكريات تلك المعركة الشرسة عالقةً فى أذهان المشاركين بها، فراح العديد من المقاتلين يتحدثون بها بين الفترة والأخرى.

فهذا عمارة بن خزيمة يحدث عن أبيه أنه قال:

حضرت مؤتة، فبارزت رجلًا يومئذ فأصبته وعليه بيضة له، فيها ياقوتة، فلم يكن همّى إلا الياقوتة فأخذتها، فلما

۱- انظر مقاتل الطالبيين: ۳۰، والمصادر التاريخية الأخرى.

ص: ۱۴۴

انكشفنا وانهزمنا رجعت بها إلى المدينة فأتيت بها رسول الله، فنفلنيها، فبعتها زمن عمر بن الخطاب بمائة دينار، فاشتريت حديقة نخل بنى خطمة (۱).

ويوم فتح مكة فى شهر رمضان عام ۸ هجرية كانت كل قبيلة من قبائل المسلمين تحمل رايتها، فيما كانت مع خزيمة بن ثابت راية قومه بنى خطمة ((۲)).

ذو الشهادتين!

تواترت فى قصة هذا الوسام الرائع والصفة الحميدة عدة روايات من أن رسول الله اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربى فجحد، فشهد له خزيمة بن ثابت.

فقال رسول الله: ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟!

قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً.

وفى خبر آخر: صدقناك بخبر السماء ولا

۱- انظر كتاب المغازى للواقدى ۷۶۹: ۲، ومختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸.

۲- انظر مختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸.

ص: ۱۴۵

نصدقك بخبر اشتراء ناقة.

فقال رسول الله:

(من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه).

وفى رواية أخرى: أن النبى ابتاع فرساً من أعرابى، فاستتبعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبى المشى وأبطأ الأعرابى، فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس، لا يشعرون أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابى فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبى، فنادى الأعرابى النبى فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقال النبى حين سمع نداء الأعرابى: أوليس قد ابتعته منك؟

قال الأعرابى: لا والله ما بعتك، فقال النبى: بلى، قد ابتعته منك.

فطفق الناس يلوذون بالنبى والأعرابى وهما يتراجعان، فطفق الأعرابى

ص: ۱۴۶

يقول: هلم شـهيداً يشـهد أنى بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابى: ويلك! إن النبى لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبى ومراجعة الأعرابى، وطفق الأعرابى يقول: هلم شهيداً يشهد أنى بايعتك.

فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته.

فأقبل النبى على خزيمة فقال: بم تشهد؟

أو- كما فى رواية ثانية- كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه؟

فقال: بتصديقك يا رسول الله!

أو أنه قال- حسب رواية أخرى-: يا رسول الله نحن نصدقك على وحى من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته؟!

فأنفذ (ع) شـهادته وسـمّاه (ذا الشـهادتين)، لأنه صـيّر شهادته شهادة رجلين، وصارت شهادته- بهذا الوصف له من قبل رسول الله- فى أى قضية يدعى

ص: ۱۴۷

لها تغنى عن طلب شاهد آخر.

أو لأن خزيمة- كما فى خبر آخر- شهد للنبى على يهودى فى دين قضاه عليه السلام.

أنه الأيمان الوثيق واليقين العميق والبصيرة الواعية! فهيأه كل هذا لاستحقاق ذلك اللقب العظيم والوصف الجليل.

وقد احتلت هذه الرواية مكاناً لها فى المناقشات الفقهية عند الفريقين فى باب حجية علم القاضى وفى باب الشهادات ((۱)) ....

وافتخر الأنصار!

يعد هذا الشعار كرامةً أخرى تضاف إلى سجلّ الأنصار، الذين نالوا حظاً وافراً فى آيات قرآنية مباركة وأحاديث وأقوال نبوية شريفة، راحت تضفى عليهم صفات

۱- انظر فى هذا كله وسائل الشيعة ۱۸، ب ۱۸ من أبواب كيفية الحكم، ح ۳، ومختصر تاريخ دمشق ۴۷ ۴۶: ۸، وأحكام القرطبى ۴۰۵: ۳، والإصابة فى معرفة الصحابة: ۲۳۴۷، وغيرها من المصادر التاريخية والروائية والفقهية.

ص: ۱۴۸

عالية، وتذكر لهم مواقف شامخة، حتى غدوا أهلًا لثناء السماء ومدحها.

فقد وصفهم الله تعالى بأنهم مؤمنون، وبأن المغفرة والرزق الكريم نصيبهم، بسبب ما قدموه لرسول الله وللمؤمنين المهاجرين من إيواء ونصرة، فقال فى كتابه العزيز: والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم (۱) وانظر الآية ۷۲ من سورة الأنفال، حيث فيها تكريم لهم لإيوائهم المهاجرين وعلى رأسهم نبى الرحمة، ونصرتهم لهم أيضاً.

وهم الذين قال فيهم رسول الله: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار).

إلى غير هذا من الإطراء عليهم وعلى ما قدّموه من أعمال حميدة وخدمات جليلة وفقهم الله تعالى لها، فاستحقوا عليها كل ذلك الثناء والذكر الطيب.

* فقد افتخر الأوس- وكان حقاً لهم

۱- الأنفال: ۷۴.

ص: ۱۴۹

أن يفتخروا- بثلّة مؤمنة منهم، تتضمن أربعةً من أصحاب رسول الله، تشرفوا بالصحبة النبوية المباركة، وحظوا بمناقب عالية وأوسمة رفيعة.

فقالوا:

منا غسيل الملائكة: حنظلة بن راهب.

ومنا من اهتز له عرش الرحمن: سعد بن عبادة.

ومنا من حمته الدبر أى النحل والزنابير: عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، فقد أصيب يوم أحد، فمنعت النحل الكفار منه، وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به، فسلط الله عز وجل عليهم الزنابير الكبار تأبر الدارع، فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه (۱).

ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت.

* فيما راحت الخزرج هى الأخرى تعدد

۱- راجع لسان العرب، مادة دبر.

ص: ۱۵۰

مناقب أربعة من أبنائها، وكأنه جاء رداً على ما تفاخرت به الأوس.

فقال الخزرجيون:

منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله، إذ لم يجمعه غيرهم، وهم:

زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل (۱).

إلاـ أن افتخارهم بهذه المناقب وبتلك الأوسمة- وهى ألقاب كانوا يحبونها بصدق- كاد أن يكون سبباً لإثارة ما دفن من أحقاد وضغائن ونزاعات قديمة بينهم دامت قرابة مائة عام، وذلك قبل أن يوحّدهم الإسلام ونبى الرحمة محمد، ولولا تدخّل السماء وحكمة رسول الله لهمّوا أن يقتتلوا.

فقد ذكر جمع من المفسرين أن سبب نزول آيتى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء

۱- انظر أحكام القرآن للقرطبى ۵۶: ۱، ومختصر تاريخ دمشق ۴۷: ۸.

ص: ۱۵۱

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون ((۱))، هو ما وقع من افتخار بين أوسيّ وخزرجي حول ما يتمتع به بعضهم من مناقب وفضائل.

فقد قال مقاتل: افتخر رجلان من الأوس والخزرج: ثعلبة بن غنم من الأوس، وأسعد بن زرارة من الخزرج.

فقال الأوسى: منّا ابن ثابت ذو الشهادتين، ومنا حنظلة غسيل الملائكة، ومنا عاصم بن ثابت حمى الدين، ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى بحكمه فى بنى قريظة.

وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن: أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم.

فجرى الحديث بينهما، فغضبا وتفاخرا وناديا، فجاء الأوس إلى الأوسى والخزرج

۱- آل عمران ۱۰۲- ۱۰۳.

ص: ۱۵۲

إلی الخزرجی، ومعهم السلاح.

فبلغ ذلک النبی، فرکب حماراً وأتاهم، فأنزل الله هذه الآیات، فقرأها علیهم فاصطلحوا (۱).

وهذه لیست الوحیدة والأخیرة بینهم، فانظر أسباب النزول للواحدی فی خصوص الآیة إن الذین جاءوا بالإفک عصبة منکم ... (۲).

تجد ما دار بین سعد بن معاذ زعیم الأوس (۳)، وسعد بن عبادة زعیم الخزرج، فثار الحیّان الأوس والخزرج، حتی هموا أن یقتتلوا ورسول الله قائم علی المنبر، فلم یزل یخفضهم حتی سکتوا وسکت.

۱- انظر مجمع البیان فی تفسیر القرآن للشیخ الطبرسی ۸۰۴: ۲، فی تفسیر الآیتین المذکورتین، وراجع غیره من التفاسیر.

۲- النور: ۱۱.

۳- وفی هذا کلام، لأن سعد بن معاذ توفی بعد حکمه المشهور فی بنی قریظة، وهو أمر وقع قبل حادثة الإفک بفترة تجاوزت أشهراً عدیدة. اللهم إلا إذا أخذنا بما ذکره الواقدی من أن غزوة بنی المصطلق التی وقعت فیها حادثة الإفک کانت قبل غزوة بنی قریظة، بل وقبل غزوة الخندق، فکانتا بعد المریسیع لحرب بنی المصطلق من خزاعة فوقعت فی شعبان سنة خمس من الهجرة، وهو کما یبدو خلاف مشهور المؤرخین الذی یذهب إلی أن رسول الله غزا بنی المصطلق من خزاعة فی شعبان سنة ست من الهجرة. انظر: تاریخ الطبری ۱۰۴: ۲.

ص: ۱۵۳

هذا إضافة إلى ما كان يذكيه يهود المدينة ويغذونه من نعرات قديمة بين الحيّين الأوس والخزرج.

رؤيا خزيمة!

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه: أنه رأى فى المنام كأنه سجد على جبين رسول الله، فذكر ذلك لرسول الله.

فقال رسول الله: إن الروح لا تلقى الروح. فأقنع رسول الله رأسه، ثم أمره فسجد من خلفه على جبينه، جبين رسول الله (۱).

جمع القران:

أكدت كثير من المصادر التاريخية والروائية أنه كان لخزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) دور واضح فى مهمة جمع آيات كتاب الله تعالى، فقد راح العديد من الصحابة يستعينون به فى هذا المشروع، خاصة حين فقدانهم لبعض الآيات القرآنية المباركة:

۱- انظر فى ذلك ما رواه أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، وغيره.

ص: ۱۵۴

فعن زيد بن ثابت أنه قال:

لما كتبنا المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا (۱). فوجدتها عند خزيمة بن ثابت، وكان يدعى ذا الشهادتين، فألحقتها فى سورتها.

وفى رواية أخرى: أن عمر بن الخطاب أراد أن يجمع القرآن، فقام فى الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به.

وكانوا كتبوا ذلك فى الصحف والألواح والعسب- جمع عسيب، وهو جريدة النخل مما لا ينبت عليه الخوص كما فى لسان العرب- وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك.

فقام عثمان بن عفان فقال:

من كان عنده من كتاب الله عز وجل شىء

۱- الأحزاب: ۲۳.

ص: ۱۵۵

فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إنى قد رأيتكم قد تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قال: وما هما؟

قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وآله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (۱).

قال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين تريد أن تجعلهما؟

قال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن. فختمت بهما براءة (۲).

ووجدوا عند خزيمة بن ثابت- وفى رواية عند أبى خزيمة- آية فإن تولوا فقل حسبى الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (۳).

۱- التوبة: ۱۲۸ و ۱۲۹.

۲- انظر مختصر تاريخ دمشق ۴۶: ۸، البيان فى تفسير القرآن للسيد الخوئى: ۲۴۲- ۲۴۳، أحكام القرآن للقرطبى ۵۰: ۱.

۳- التوبة: ۱۲۹.

ص: ۱۵۶

مما رواه:

كان خزيمة رضوان الله عليه ملازماً لمدرسة القرآن والنبوة لآياتها ومواقفها وآثارها وثمارها، حريصاً عليها، حافظاً لها، مستفيداً منها، أميناً فى نقل ما تيسر له مما توفر عليه من علم، ومعرفة، وآيات قرآنية مباركة، وأحاديث نبوية شريفة، وكان منها:

- عنه عن رسول الله أنه قال: (عمار تقتله الفئة الباغية).

- وروى عنه- وعن جمع آخر- أن رسول الله جمع بين المغرب والعشاء بجُمع، صلى المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بإقامة

ص: ۱۵۷

واحدة (۱) ...

- وعنه: نهانا رسول الله أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار، وأن نستنجى برجيع أو عظم.

- وعنه عن رسول الله أنه قال: من استطاب بثلاثة أحجار ليس فيهن رجيع كان له طهوراً.

- وعنه: كان إذا فرغ من تلبيته سأل الله رضوانه ومغفرته، واستعاذ برحمته من النار.

- وعنه أن النبى قال: من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته.

- وعنه عن النبى أنه قال:

إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة (۲).

- ومن غرائب حديثه- كما ورد فى مختصر تاريخ دمشق- ما حدث أنهم كانوا

۱- انظر أحكام القرطبى ۴۲۴: ۲.

۲- استشهد بأحد جنباً، فلذلك رأى النبى الملائكة تغسله.

ص: ۱۵۸

عنـد رسول الله فى المسـجد، وهو مسـند ظهرَه إلى بعض حجرات نسائه، فدخل رجل من أهل العالية فجلس يسأل رسول الله، فشم منه رسول الله ريحاً تأذى هو وأصحابه.

- فقال: من أكل من هذه الشجرة فلا يؤذينا بها.

وهناك أحاديث أخرى إضافة إلى ما توفرت عليه هذه المقالة من رواياته رضوان الله تعالى عليه.

ولاؤه للإمام على ولاهل البيت:

كان خزيمـة بن ثابت ذو الشـهادتين من أتباع مدرسـة أهل بيت النبوة والعصـمة والطهارة سـلام الله عليهم، وهو ما عرف به وعرفت به مواقفه، دفاعاً عن حقانية العترة الطاهرة المتمثلة فى زمنه بالإمام على بن أبى طالب سـلام الله عليه، وظل هذا الرجل على اسـتقامته هذه لم يغيّر ولم يبدل حتى فاضت روحه شهيداً بين يدى

ص: ۱۵۹

أمیر المؤمنین علی سلام الله علیه فی یوم صفین.

روایته لحدیث الثقلین:

وقد تشرف بأن یکون واحداً من رواة حدیث الثقلین المعروف، وهو الحدیث الذی یبین منزلة أهل البیت سلام الله تعالی علیهم، وأنهم الثقل الثانی بعد القرآن، وأن التمسک بهما معاً هو الذی ینجی من الضلالة والتیه والانحراف.

فعن أبی الطفیل: أن علیاً (ع) قام فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال: أنشد الله من شهد یوم غدیر خم إلا قام، ولا یقوم رجل یقول: ثبت أو بلغنی إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلًا، منهم خزیمة بن ثابت و ...

فقال علی (ع): هاتوا ما سمعتم.

فقالوا: نشهد أنا أقبلنا مع رسول الله من حجة الوداع ونزلنا بغدیر خم، ثم نادی بالصلاة جامعة، فصلینا معه، ثم قام فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال:

أیها الناس ما أنتم قائلون؟

ص: ۱۶۰

قالوا: قد بلغت.

قال: اللهم اشهد ثلاث مرات ثم قال: إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، ثم قال: أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى أهل بيتى، إذا تمسكتم بهما لن تضلوا، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، بذلك نبأنى اللطيف الخبير، ثم قال:

إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين، ألستم تعلمون أنى أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلى.

قال ذلك ثلاثاً. ثم أخذ بيدك يا أمير المؤمنين فرفعها وقال:

من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقال على: صدقتكم وأنا على ذلك من الشاهدين (۱).

هم الأئمة

وكان رضوان الله عليه من كبار أصحاب أمير المؤمنين على (ع) ومن قادة جنده

۱- انظر: حديث الثقلين لنجم الدين العسكرى: ۸۴.

ص: ۱۶۱

المعروفين بالصلابة والفداء، ومن جلسائه المقرّبين إليه، ومن أوائل الذين دافعوا عن منزلة أهل البيت، وأنهم أئمة الحق الذين يقتدى بهم، كما جاء فى رواية الاحتجاج للطبرسى بسنده عن ابن تغلب عن الإمام جعفر الصادق (ع).

ووقع هذا يوم أنكر جمع من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بنى أمية، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى و ...

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين و ... واحدقوا بالمنبر بمحضر من الخليفة الأول وجمع كبير من المسلمين ... ثم راح كل واحد منهم يدلى بحجته حتى وصل الأمر إلى خزيمة بن ثابت فقال:

أيها الناس، ألستم تعلمون أن رسول الله قبل شهادتى وحدى ولم يرد معى غيرى؟

قالوا: بلى.

قال: فأشهد أنى سمعت رسول الله يقول:

(أهل بيتى يفرقون بين الحق والباطل،

ص: ۱۶۲

وهم الأئمة الذين يقتدى بهم).

وقد قلت ما علمت وما على الرسول إلا البلاغ المبين (۱).

اذكر علياً وآله:

فى الأيام الأولى لخلافة أبى بكر اعتزل جمع من الأنصار عنه، فغضبت قريش من موقف الأنصار هذا ... فقالت لعمرو بن العاص: قم، فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك.

فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار إلى على فأخبره، وأنشده شعراً قاله.

فخرج على مغضباً حتى دخل المسجد، فذكر الأنصار بخير، ورد على عمرو بن العاص قوله.

فلما علمت الأنصار ذلك سرها وقالت: (ما نبالى بقول من قال مع حسن قول على.

واجتمعت إلى حسان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل.

فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحنى.

فقالوا: فاذكر علياً فقط.

۱- راجع الاحتجاج للطبرسى.

ص: ۱۶۳

أما خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: اذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء).

فأنشد حسان أبياتاً تسعاً كان منها:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبى حسن؟!

غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة أمات بها التقوى وأحيا بها الإحن

ألست أخاه فى الهدى ووصيه وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟ (۱)

من أوائل المبايعين: وكان أيضاً من أوائل الذين بايعوا الإمام علياً سلام الله عليه بالخلافة من الأنصار الذين ذكرهم الشيخ المفيد رحمه الله تعالى، وعدد منهم تسعة وعشرين احتل ذو الشهادتين الرتبة الثانية بينهم، ثم عقب الشيخ فى نهاية هذه السلسلة مشيداً بالأنصار قائلًا:

فى أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين، وصلوا القبلتين، واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبى

۱- تجد بقية الأبيات والقصة كاملة مع مصادرها فى كتاب الغدير للشيخ الأمينى ۴۲: ۲- ۴۳.

ص: ۱۶۴

الهدى عليه وآله السلام بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان، وممن لو أثبتنا أسماءهم لطال بها الكتاب، ولم يحتمل استيفاء العدد الذى حددناه (۱).

وقد ذكر السيد محسن الأمين فى كتابه (فى رحاب أئمة أهل البيت) أن الحاكم روى فى المستدرك بسنده أنه لما بويع على بن أبى طالب على منبر رسول الله، قال خزيمة بن ثابت، وهو واقف بين يدى المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا

أبو حسن مما نخاف من الفتن رجوناه أولى الناس بالناس إنه

أطبّ قريش بالكتاب وبالسنن وإن قريشاً ما تشق غباره

إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن وفيه الذى فيهم من الخير كله

وما فيهم كل الذى فيه من حسن (۲)

هذا، وقد انضم ذو الشهادتين إلى الإمام عليه السلام، و شارك معه فى المعارك التى خاضها أثناء خلافته، كمعركة الجمل ضد الناكثين، ومعركة صفين ضد القاسطين معاوية وجنده. وأبلى فيهما بلاءً حسناً.

۱- المفيد، الجمل: ۱۰۵- ۱۰۶.

۲- محسن الأمين، فى رحاب أئمة أهل البيت ۳: ۲.

ص: ۱۶۵

فى معركة الجمل:

فى منتصف جمادى الآخرة وقعت حرب الجمل بين جيش الزبير وطلحة ومعهم أم المؤمنين عائشة من جهة، وجيش الإمام على (ع) من جهة أخرى.

ذو الشهادتين وابن الحنفية:

كانت راية الإمام على (ع) مع ابنه محمد بن الحنفية فنخس قفاه، وقال له: احمل فتقدم، حتى لم يجد متقدماً إلا على سنان رمح. فقال: تقدم لا أمّ لك، فتلكأ، فتناول الراية من يده وقال: يابنى بين يدى.

وفى رواية ابن أبى الحديد: أنه دفع إليه الراية يوم الجمل وقد استوت الصفوف.

وقال له: احمل فتوقف قليلًا.

فقال له: احمل. فقال يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر، فدفع فى صدره وقال: أدرككَ عِرْق من أمك. ثم أخذ الراية فهزها ثم قال:

اطعن فها طعن أبيك تحمد

لا خير فى الحرب إذا لم توقدبالمشرقى والقنا المسدد

ص: ۱۶۶

ثم حمل وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصرة.

قيل لمحمد: لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرّر بالحسن والحسين؟

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

ثم دفع الراية إلى محمد وقال: امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين فى جمع من الأنصار كثير من أهل بدر، وحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاءً حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلى (ع): أما أنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه. وإن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال على (ع): أين النجم من الشمس والقمر؟! أما أنه قد أغنى وأبلى وله الفضل.

ص: ۱۶۷

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما فى عودك اليوم وصمة ولا كنت فى الحرب الضروس معوداً

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله على وسماك النبى محمداً

فلو كان حقاً من أبيك خليفة لكنت ولكن ذاك ما لا يرى أبدا

وأنت بحمد الله أطول غالب لساناً وأنداها بما ملكت يداً

وأطعنهم صدر الكمى برمحه وأكساهم للهام عضباً مهنداً

سوى أخويك السيدين كلاهما إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعداً من الأرض أو فى اللوح مرقى ومصعداً (۱)

شعره يوم الجمل:

ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين- وكان بدرياً- فى يوم الجمل:

ليس بين الأنصار فى جحمة الحر ب وبين العداة إلا الطعان

وقراع الكماة بالقضب البيض فإذا ما تحطم المران

فادعها تستجب فليس من الخز رج والأوس يا على جبان

يا وصى النبى قد أجلت الحر ب الأعادى وسارت الأظعان

واستقامت لك الأمور سوى الشام وفى الشام يظهر الأذعان

حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا

۱- محسن الأمين، فى رحاب أئمة أهل البيت ۴۲: ۲- ۴۳.

ص: ۱۶۸

ذو الشهادتین وأم المؤمنین:

ولم یکتف ذو الشهادتین بذلک، بل راح یخاطب أم المؤمنین عائشة طالباً منها التخلّی عن موقفها التحریضی و المناوئ لعلی (ع)، فذکرها بأنه وصی رسول الله، کما یذکر ابن ابی الحدید ذلک حیث یقول:

وقال خزیمة أیضاً یوم الجمل:

أعائش خلّی عن علی وعیبه بما لیس فیه إنما أنت والدة

وصی رسول الله من دون أهله وأنت علی ما کان من ذاک شاهدة

وحسبک منه بعض ما تعلمینه ویکفیک لو لم تعلمی غیر واحدة

إذا قیل ماذا عبت منه رمیته بخذل ابن عفان وما تلک آبدة

ولیس سماء الله قاطرة دماً لذاکوما الأرض الفضاء بمائدة (۱)

فی معرکة صفین: وکان خزیمة رضوان الله تعالی علیه ممن شهد معرکة الجمل کما ذکرنا، وفی سنة ۳۷ هجریة شهد معرکة صفین بجانب جیش الإمام علی (ع)، و کان فیها من المقاتلین الأشداء المعروفین ببسالتهم.

۱- ابن ابی الحدید، شرح نهج البلاغة ۱۴۵: ۱- ۱۴۶.

ص: ۱۶۹

فقد كان واحداً من أشياخ الأنصار الذين توجه إليهم الإمام طالباً منهم المشورة.

فقد ورد فى الخبر: أن الإمام علياً (ع) لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(أما بعد، فإنكم ميامين الرأى، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى

ص: ۱۷۰

عدونا وعدوكم، فأشيروا علينا برأيكم).

فكان خزيمة واحداً من أولئك الذين استحقوا المنزلة التى اختارها أمير المؤمنين لهم، وقد حظى هو ومن معه بهذه الصفات العظيمة التى لم تصدر من الإمام (ع) إذا لم يكونوا أهلًا لها أبداً. وقد سبقهم قيس بن سعد بن عبادة بالكلام، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرد (۱)، فوالله لجهادهم أحب إلىّ من جهاد الترك والروم، لادهانهم فى دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه. وفيئنا لهم فى أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين (۲).

وما إن انتهى من كلامه حتى بادر أشياخ الأنصار- وذكر منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وغيرهما-

---

۱- الانكماش: الإسراع والجد، والتعريد: الفرار والإحجام والانهزام.

۲- القطين: الرقيق أو الخدم والأتباع والمماليك.

ص: ۱۷۱

فقالوا لقيس:

لم تقدمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟

فقال: أما أنى عارف بفضلكم، معظم لشأنكم، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم.

وهنا وقع اختيارهم على سهل بن حنيف.

فقالوا: قم يا سهل بن حنيف.

فقام سهل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك ونحن كف يمينك، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخوص، وتخبرهم بما صنع الله لهم فى ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس، فان استقاموا لك استقام لك الذى تريد وتطلب ..

وأما نحن فليس عليك منا خلاف، متى

ص: ۱۷۲

دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك (۱).

إذن فهم- وكما فى الخبر- كانوا راغبين فى الموافقة وتلبية طلب أميرالمؤمنين‌على (ع) دون تردد من أحد بمن فى ذلك الصحابى الجليل موضوع مقالتنا. وإن وردت رواية عن عمارة بن خزيمة أن خزيمة شهد الجمل وهو لا يسلّ سيفاً، وشهد صفين وقال: أنا لا أقتل أحداً حتى يقتل عمار، فأنظر من‌يقتله، فإنى‌سمعت رسول الله يقول: (تقتله الفئة الباغية).

قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لى الضلالة، ثم اقترب، فقاتل حتى قتل.

وكان الذى قتل عمار بن ياسر أبو الغادية المزنى، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل فى محفة (۲)، فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة، فلما وقع أكب

۱- انظر فى هذا وقعة صفين لنصر بن مزاحم المتوفى سنة ۲۱۲، بتحقيق عبد السلام محمد هارون: ۹۳- ۹۴، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى قدس سره الشريف.

۲- المحفة: المركب كالهودج، إلا أنّ الهودج يقبّب، والمحفة لا تقبّب، راجع لسان العرب.

ص: ۱۷۳

عليه رجل آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان فيه، وكلاهما يقول: أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: والله، إن تختصمان إلا فى النار. فسمعها معاوية، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص: ما رأيت مثلما صنعت! قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان فى النار؟!

فقال عمرو: وهو والله ذلك، والله إنك لتعلمه، ولوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة (۱)!

فعلى فرض صحّة هذه الرواية وسلامتها، مع أنها مخالفة لتفاصيل مواقفه المذكورة أعلاه فى معركتى الجمل وصفين، والتى تدل بشكل واضح على يقينه وسلامة اختياره، لا ضير فيها على خزيمة، وهو المعروف بنفاذ بصيرته وسلامتها، وعمق ولائه لأمير المؤمنين على، وقد خرج إلى معركة صفين ومن قبلها معركة الجمل بكامل وعيه

۱- انظر مختصر تاريخ دمشق ۴۸: ۸.

ص: ۱۷۴

للحق الذى لا يفارق علياً (ع) وللباطل الذى لاذ به خصوم على (ع).

ولكن مع كل هـذا، فقـد يحدث للإنسان فى لحظة ما تردد أو توقف وهو فى أمر خطير جداً يحدد مصـيره، أو وهو يخطرعلى باله قول رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى بحقّ عمار بن ياسر:

(أن أبشر عمار! تقتلك الفئة الباغية، آخر زادك من الدنيا ضياح لبن).

فيجعله الرمز ورايته راية الحق، يسـتعين بها من تصـيبه غفلة أو ضـلالة أو حيرة، إما إلى الجنة وإما الى النار، فينتظر برهة ثم يحسم أمره ليكون على بصيرة من أمره لا يشوبها ريب أو نقصان أبداً، أو أنه من باب ليطمئن قلبى لا غير ...

فإن دلّت هـذه العلامـة المنحصـرة بعمار رضوان الله تعالى عليه (تقتلك الفئـة الباغيـة ...) على شـىء عظيم، فإنما تـدل على رحمـة الله تعالى بعباده، وحرص النبى

ص: ۱۷۵

على محبيه وأتباعه فى أن لاـ تستبدّ بهم الضلالة والحيرة، وأن لاـ تبقى الغشاوة على أعينهم طويلًا، و أن لا ينزغ الشيطان بينهم وبين الحق الذى يريدون، فيصوّر الحق ضلالةً والضلالة حقاً، فتختلط عليهم الأوراق، وقد يقع المحذور وسوء الاختيار، مع ضيق الوقت وخطورة الموقف وحراجته، مما لاـ يدع مجالًا لإعادة النظر واختيار الأصح والأصوب، فكان عمار ورايته الدليل الناصع على حقانية الطائفة التى يقاتل عمار دفاعاً عنها، وضلالة الطائفة التى يقاتلها، وهذا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمن لم تذكره هذه الراية التى قدرت السماء أن يحملها عمار، والتى زينها رسول الله بقول آخر لعلى (ع) عندما ذكر عماراً:

(أما إنه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم، وذكرها كثير، وثناؤها حسن) (۱).

فمن لم يذكره كل هذا بمكان الحق

۱- انظر: كنز العمال ۷۲۳: ۱۱، حلية الأولياء ۱۴۲: ۱.

ص: ۱۷۶

والهدى، فهو الذى مات قلبه، أو لم يكن عنده قلب على الإطلاق، ولم يكن قد هيأ سمعه وأنصت بوعى لنداء الهدى، فاستبد به العناد، فكانت عاقبته الخزى فى الدنيا والعذاب فى الأخرى، وذلك هو الخسران المبين.

وخزيمة وغيره من الأصحاب الذين نوّر الله تعالى قلوبهم بنور الحق، يعرفون جميع هذا وغيره بحكم ملازمتهم لرسول الله ووعيهم لأقواله وبحكم بصيرتهم النافذة فى معرفة منزلة على من رسول الله، لهذا نراهم قد استبسلوا فى الدفاع عن على ومواقفه طيلة حياتهم.

وخزيمة هو الذى دعا أن يغتسل غسل الشهادة حينما آوى إلى فسطاطه.

تقول الرواية:

عن الفضيل بن دكين قال: حدثنا عبد الجبار بن العباس الشامى عن أبى إسحاق قال: لما قتل عمار، دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه، ثم شن عليه

ص: ۱۷۷

الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل ((۱)).

ليرد معركة الشهادة التى تيقنها كأنه يراها أمام عينيه وهو يرى عماراً على ترابها صريعاً شهيداً، وخزيمة يردد: لقد سمعتها من رسول الله: (عمار تقتله الفئة الباغية ...).

وفى رواية: أن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلًا ملثماً يقاتل الناس قتالًا شديداً يميناً وشمالًا، فقلت: يا شيخ، أتقاتل الناس يميناً وشمالًا؟!

فحسر رضوان الله عليه عن عمامته ثم قال:

سمعت رسول الله يقول:

(قاتل مع على جميع من يقاتله).

وأنا خزيمة بن ثابت الأنصارى.

ثم راح يواجه الموت بقلب متلهّف للشهادة، متيقن لأجرها وثوابها، وهو يرتجز قائلًا:

قد مرّ يومان وهذا الثالث هذا الذى يلهث فيه اللاهث

۱- انظر: رجال الكشى: ۵۲- ۵۳.

ص: ۱۷۸

هذا الذى يبحث فيه الباحث كم ذا يرجى أن يعيش الماكث

الناس موروث ومنهم وارث هذا على من عصاه ناكث

وظل خزيمة يقاتل حتى استشهد بجوار الصحابى الجليل عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليهما. ووقع هذا سنة سبع وثلاثين هجرية.

ثم راحت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت التى عرفت بإيمانها وولائها للإمام على سلام الله عليه ترثى أباها صاحب الشهادتين:

عين جودى على خزيمة بالدمع قتيل الأحزاب يوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتين عتواً أدرك الله منهم بالتراب

قتلوه فى فتية غير عزل يسرعون الركوب للدعوات

نصروا السيد الموفق ذا العد ل ودانوا بذاك حتى الممات

لعن الله معشراً قتلوه ورماهم بالخزى والآفات

وانطلق عبد الله يزيد بن عاصم الأنصارى يرثى من قتل من أصحابه، وخزيمة رضوان الله عليه كان واحداً منهم، قائلًا:

يا عين جودى على قتلى بصفينا أضحوا رفاتاً وقد كانوا عرانينا

أنى لهم صرف دهر قد أضرّ بنا تبا لقاتلهم فى اليوم مدفوناً

ص: ۱۷۹

كانوا أعزة قومى قد عرفتهم مأوى الضعاف وهم يعطون ماعوناً

أعزز بمصرعهم تباً لقاتلهم على النبى وطوبى للمصابينا (۱)

هـذا، وهناك قول بأن ذا الشـهادتين توفى فى زمن الخليفـة الثالث عثمان بن عفان، وأن الذى استشـهد مع الإمام على عليه السـلام فى صفين هو صحابى آخر يحمل الاسم نفسه، أى خزيمة بن ثابت، إلا أنه ليس المعروف بذى الشهادتين.

وهو قول شاذ لأنه:

أولًا: مخالف لما أجمع عليه علماء السير من أن الذى استشـهد فى معركة صـفين هو خزيمة بن ثابت ذو الشـهادتين، وأنه لم يمت فى عهد عثمان.

وثانياً: لعدم وجود صحابى بهذا الإسم، أى خزيمة بن ثابت، غير المتصف بذى الشهادتين (۲).

۱- أنظر: وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ۳۶۴- ۳۶۶.

۲- راجع: الإصابة وغيرها من المصادر التاريخية.

ص: ۱۸۰

الإمام (ع) يندب إخوانه ويطرى عليهم ومنهم ذو الشهادتين:

وقد راح الإمام على (ع) يذكر إخوانه كما كان يسميهم، الذين استشهدوا فى معركة صفين ويشيد بهم ويتمنى وجودهم، وكان الحزن يعتصر قلبه على مصرعهم، وهو يرى تخاذل جنده وأتباعه وتباطئهم فى الاستجابة له حينما يستحثهم لمواصلة المرحلة الثانية من القتال ضد معاوية وجنده، ومما قاله سلام الله عليه:

... ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين إلا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص ويشربون النق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.

ثم راح يندبهم ويصفهم بالأخوة، ويعدد نماذج منهم قائلًا:

أين إخوانى الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟! أى: استقاموا فيه لم ينحرفوا إلى هنا وهناك، لا يبتغون عنه بدلًا.

أين عمار؟!

وأين ابن التيهان؟!

ص: ۱۸۱

وأين ذو الشهادتين؟! وهو خزيمة بن ثابت، والإمام سلام الله عليه راح يناديه بلقبه الذى جعله رسول الله له، أن عدّ شهادته منفردةً قائمة مقام شهادة رجلين.

وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟!

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء ثم قال عليه السلام:

أوه على أخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه.

وبعد إطرائه عليهم رضوان الله عليهم نادى بأعلى صوته:

الجهاد الجهاد عباد الله (۱) ...

ذو الشهادتين فى كتب علماء الرجال:

كان طبيعياً أن يحتل خزيمة بن ثابت

۱- انظر: نهج البلاغة، صبحى الصالح: ۲۶۴.

ص: ۱۸۲

مكانةً قيمةً عند علماء الرجال والحديث من الفريقين، لما تمتّع به هذا الصحابى الجليل من إيمان وثيق، وصدق حديث وروايةٍ، استحق بها اللقب العظيم (ذو الشهادتين)، الذى أضفاه عليه النبى الكريم صلوات الله عليه، تضاف إلى سجله الحافل بالمواقف الجهادية طوال حياته الإيمانية المباركة:

ففى رجال الشيخ الطوسى+:

خزيمة بن ثابت من أصحاب رسول الله. وعده مع توصيفه بذى الشهادتين فى أصحاب على (ع) (۱).

فيما قال عنه البرقى فى آخر رجاله:

هو من الإثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر حيث قال: ألست تعلم يا أبا بكر أن رسول الله قبل شهادتى وحدى.

قال: بلى.

قال: فإنى أشهد بما سمعته منه وهو قوله: (إمامكم بعدى على (ع)، لأنه الأنصح لأمتى والعالم فيهم).

أما فى العيون فقد ذكره: إنه من

۱- رجال الشيخ الطوسى: ۵.

ص: ۱۸۳

الذين مضوا على منهاج نبيهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا ((۱)).

وأما الكشى، فقد ذكر أكثر من رواية تبين مواقفه دفاعاً عن الإمامة الحقة المتمثلة بأمير المؤمنين على (ع) منها:

الرواية الأولى: رواية اغتساله قبل قتاله فى صفين التى ذكرناها.

الرواية الثانية: رواية أنه سل سيفه فى صفين قائلًا: سمعت رسول الله يقول: (عمار تقتله الفئة الباغية) التى ذكرناها.

الروايـة الثالثـة: جعفر بن معروف قال: حدثنى محمد بن الحسن عن جعفر ابن بشـير عن حسـين بن أبى حمزة عن أبيه حمزة قال: والله، إنى على ظهر بعيرى فى البقيع إذ جاءنى رسول فقال: أجب يا أبا حمزة فجئت وأبو عبدالله (ع) جالس، فقال: إنى لأستريح إذا رأيتك. ثم قال: إن أقواماً يزعمون أن علياً (ع) لم يكن إماماً حتى شهر سيفه، خاب إذن عمار وخزيمة بن ثابت

۱- راجع أسماءهم فى ترجمة جندب بن جنادة فى رجال الحديث للخوئى.

ص: ۱۸۴

وصاحبك أبو عمرة، وقد خرج يومئذ صائماً بين الفئتين بأسهم فرماها قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى حتى قتل، يعنى عماراً (۱).

وذكر السيد الخوئى+ فى رجال الحديث سبب تسميته أو توصيفه بذى الشهادتين عن كتاب الكافى، كتاب الشهادات ۵ باب النوادر ۲۳، ح ۱ فى المجلد ۸. ونقل السيد الخوئى أيضاً أقوال جمع من علماء الرجال ذكرنا بعضها أعلاه، فانظر ترجمته هناك مفصلة.

وهكذا تحدث عنه علماء آخرون كالذهبى فى كتاب سير أعلام النبلاء، فقد قال عنه: خزيمة بن ثابت الفقيه أبو عمارة الأنصارى الخطمى المدنى ذو الشهادتين، قيل: إنه بدرى، والصواب إنه شهد أحداً وما بعدها. وله أحاديث.

وكان من كبار جيش على فاستشهد معه يوم صفين.

حدث عنه ابنه عمارة، وأبو عبد الله

۱- راجع: ترجمة عمار: ۳.

ص: ۱۸۵

الجدلى، وعمرو بن ميمون الأودى، وإبراهيم بن سعد بن أبى وقاص وجماعة.

قتل رضى الله عنه سنة ۳۷ ه-، وكان حامل راية بنى خطمة. وشهد مؤتة (۱).

وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وطبقات المحدثين وغيره مع بعض ما رواه عن النبى.

وختاماً

لقد حظى هذا الصحابى الجليل رضوان الله تعالى عليه بما تمنّاه، ألا وهو الشهادة فى سبيل الله تعالى، التى ختم بها عمره البالغ سبعين سنة، إذا ما أخذنا بما ذكره بعض من كتب عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين، وإن لم أعثر على دليل تاريخى يثبته فيما تيسّر لى من مصادر تاريخية، من أنه ولد قبل البعثة النبوية المباركة بعشرين سنة، فيكون عمره حين استشهاده رضوان الله تعالى عليه سبعين سنة، فهو شيخ كبير، ويعد من مشايخ المسلمين الذين نالوا وسام

۱- انظر: سير أعلام النبلاء ۴۸۵: ۲۰.

ص: ۱۸۶

الشهادة فى معرکة صفين بعد عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه.

فسلام عليک نفساً مطمئنةً آمنت بربها، فرحلت إليه راضية مرضية!

الدَّاعية الأمريکى الحاج مالک شباز (مالکولم إکس) الحجُّ وفعلُه التغييرى فى حياته وفکره

آدم بمبا

مقدمة

إذا کانت وحدة الأصل البشرىِّ، وتساوى الشُّعوب مسلَّمة طبيعيَّة، فإنَّ هذه الحقيقة يصعب الاهتداء إليها فى ظلِّ العنصريَّات والمواقف المسبقة عن الشُّعوب والأمم، ولا سبيلَ إلى رفع هذا الکَلَف عن وجه هذه الحقيقة الناصعة إلَّا بتوفير فرَص من «التعارف» الحقِّ بين الناس؛ فالإنسان عدوُّ ما يجهل. وإذا کانت وسائل انتقال الأفراد والجماعات، وأسباب اختلاط الأمم بعضها ببعض متعدِّدة، فإنَّ رحلة الحج تظلُ

ص: ۱۸۷

قمَّة الوسائل فى توفير مسرح حيٍّ لتقرُّب الإنسان إلى غيره، ونبذ العنصريَّة، وصُوَر الاستعلاء العرقيّ بين الأجناس.

ومن هذا المنطلق، تأتى أهميَّة الوقوف عند شخصيَّة فريدة من رجالات الدَّعوة الإسلاميَّة ممن حملوا اللَّقب الشَّرقى «الحاج» بجدارة إن شاء الله، ويصحُّ أن نُلصِق عليهم طابعاً يحمل «صُنِع فى مكّة»، وذلك بفعل التَّجربة الإيمانيَّة الخصبة التى عايشوها فى الحجِّ، تجربة لا نبالغ إنْ قلنا: إنَّها أحدثت فى حياتهم وسلوكهم تغييراً لم يُبقِ على شخوصهم السَّابقة إلّا اللَّحم والدَّم، فكأنَّ الحج آلة عجيبةٌ فى «صنع» البشر يخرج منها الحاج «كيوم ولدَتْه أمُّه».

تلك الشخصيَّة هى الحاج مالك شباز (مالكولم إكس سابقاً) «شهيد الإسلام الأوَّل فى أمريكا» (۱)، الذى تمثِّل قصَّة حياته رحلةً طريفة فى الانتقال إلى «الآخر»، والتعرُّف عليه، ونبذ الفوارق العرقيَّة

۱- هذا من إطلاق على صديقى فى ورقة قدمها فى سمنار جماعة المسلمين فى دنفير الأمريكية بمناسبة أسبوع تاريخ السود عام ۱۹۸۸، بعنوان:

.Malcolm X: martyr Of in Islam America, janaat, al- Muslimeen, Baltimore, ۱۹۸۸, USA

ص: ۱۸۸

لصالح الأخوَّة الدينيَّة، رحلة وضعتْ خطاً فاصلًا بين مشهدَين متضادَّين من حياة صاحبها، مشهدٌ أوَّل هو الصِّراع بين الرَّجل الأسوَد والأبيض، منطِقه «اللَّامساس» وحوارهُ «فإنَّهم عدوٌّ لى». أما المشهد الآخر، فمنطقه منطق الانفتاح والأخوَّة، حتى لكأنَّ البطل الذى ظهر فى المشهد الأوَّل قد استُبدِل بإنسان آخر مختلف عنه فى جميع المواصفات النفسيَّة والسلوكيَّة.

استجلاءً لهذا الفعل التغييرىِّ فى حياة الحاج مالک شباز، فقد ارتأينا عرض حياته بصورة إجماليَّة، مع الوقوف عند مرحلة الحج لاستخلاص الدُّروس والعِبَر فى سيرة حياته المطبوعة، آملين أن تنفع فى إقامة الحجَّة لنا فى روح الأخوَّة فى الإسلام، وفى اضطلاع شعائره بتأمين السَّلام العالمى،

ص: ۱۸۹

وفى تهذيب الإسلام لأتباعه، وجعلهِم «رُسَل سلام» إلى أقوامهم ومجتمعاتهم، لا «تماثيل سلام» خرساء!

من جانب آخر، فإنّ من الأجدر بالمسلمين اليوم،- خاصَّةً- فى ديار الغرب، ونحن فى خضمِّ حملات التفريق فى الصف الإسلاميِّ، وحملات تشويه صورة الإسلام، تمثُّل تلك القِيم والرُّؤى الانفتاحيَّة على إخوانهم فى ديار الإسلام، تلك الرُّؤى التى انتهجها الحاج مالك شباز وأمثاله، حتى يبقى العُود الإسلاميُّ عوداً واحداً قويّاً يستحيل على الأعداء معالجته وكسره، وحتى تبقى تلك المنارات الإسلامية وهَّاجة، وشاهدة على الغرب، والشعوب الأخرى، فى عقر ديارها بأنَّ الإسلام دينُ التَّسامح والوسطيَّة، وأنَّه العلاج الشافى لأمراضهم الاجتماعيَّة.

أوَّلًا: الإسلام فى أمريكا والإطار الاجتماعى والدينى

إذا كان جلُّ المؤرِّخين يقفون ببداية تاريخ أمريكا بالملاح كريستوف كولومبس (۶۰۵۱- ۱۵۴۱)، فإنَّ الحقائق التاريخيَّة المتضافرة قد برهنتْ على أنَّ كولومبس

ص: ۱۹۰

مسبوقٌ إلى اكتشاف أمريكا من قِبل المسلمين الإسبان المهاجرين، بل إنَّ كولومبس قد استعان بخرائط أولئك ومعلوماتهم فى الإبحار إلى الشاطىء الأمريكى (۱).

أما فى الجانب الأفريقى، فإنَّ المؤرخ المسلم ابن فضل العمرى (صاحب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) قد أورد فى كتابه ذِكر الملك أبى بكر سلطان مالى عام (۱۳۱۲ م) الذى أبحر من شواطىء المحيط الأطلسى فى غرب أفريقيا إلى خليج مكسيكو الأمريكيَّة (۲).وتوجد مساندةٌ قويَّة لهذه الرِّوايةِ لدى البرفسور

WienerLeo

بجامعة هارفرد فى دراساته عن أفريقيا واكتشاف أمريكا، إذ استعان بالعلاقات اللغويَّة الوظيفيَّة بين بعض لغات غرب أفريقيا ولغات السُّكان المحلِّيين فى الشاطىء الآخر عند خليج مكسيكو. كما برهن الباحث Ivan V .Sertima بجامعة Rutgers

---

۱- عبدالله أحمد الدارى، الوجود الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، جدة: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ۱۴۰۳ ه-، ص ۱۲.

۲- Sulaymam S. Nyang, Ialam in the United States Of America, Chicago: ABC International Group Inc. ۱۹۹۹ , P ۱۲.

ص: ۱۹۱

نيوجرسى بدراساته المستفيضة على وجود سكان أفارقة معظمهم مسلمون فى أمريكا قبل اكتشاف كولومبس للقارة الأمريكيَّة (۱).

وقد أورد هؤلاء الباحثون كثيراً من القرائن والمرويَّات والوثائق التاريخية الدالَّة على أنَّ الإسلام قد حلَّ بالديار الأمريكيَّة منذ أن وطىء العبيد الأوائل تلك الأراضى، وظلَّ بينهم- بشكل أو بآخر- حتى ورثها الأجيالُ اللَّاحقة على الرغم من الاضطهاد، وحملات محو الهويَّة، وإرغام المسلمين على تغيير دينهم، وأسمائهم، والتَّفريق بين الأسر والقبائل .. هذا، وقد عُرِف فى تاريخ السُّود بأمريكا علماء مَّمن وصلوا أمريكا فى غضون ۱۷۳۰، وفاجأوا

۱- وضع هذا الباحث كتاباً شهيراً بعنوان: «لقد أتوا إلى هنا قبل كولومبس They Came here before Columbus» عام ۱۹۷۶ م، وقد أثار هذا الكتاب جدلًا فى الأوساط الأكاديميَّة بمعلوماته وآرائه الجديدة المثيرة. ومن جانب آخر، فإنَّ Alex Haley صاحب السيرة الذاتية «الجذور» الذى أكَّد فيها على أصوله الإسلاميَّة فى غامبيا، قد استطاع أن يبرهن على صدق دعواه، وتتبَّع القرائن التاريخيَّة حتى وصل إلى قريته على ضفاف نهر السنغال. هذا، وتاريخ العبيد المسلمين فى البرازيل وقوَّتهم فى الصمود وقيادتهم انتفاضات مسلَّحة ضد «الأسياد» المسترقين ۱۸۳۵ مشهور.

ص: ۱۹۲

الأمريكيّين بمستواهم المعرفيّ، واستعان الباحثون ببعضهم فى ترجمة بعض الوثائق، من أولئك: يارو محمد، وجوب بن سليمان، والأمين جاى، والشيخ محمود بقاقا، ومحمد على بن سعيد، وأيوب بن سليمان ديالو، وعبدالرحمن (۱).

وعلى الرغم من إلغاء الرِّق، وتجارة العبيد والتَّلويح بشعارات الحريَّة والديمقراطيَّة بعد الحرب الأهليَّة الأمريكيَّة (۱۸۶۱ ۱۸۶۵)، فإنَّ وضع السود الاجتماعى فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة خاصَّة فى ولايات الشَّمال، لم يطرأ عليه تحسُّن ملموس، حيث فرض عليهم حظر التَّجوُّل بعد الغروب فى بعض المدن، ومُنعوا من دخول المطاعم، وركوب سيارات النَّقل الجماعى، وحرِموا من الخدمات الطبيَّة فى المستشفيات، وفُصِل بينهم وبين البيض فى الكنائس، والملاهى .. وقد كانت أيَّة معارضة أو احتجاج على هذا الوضع، أو المناداة إلى المساواة تؤدّى بالمعارض

۱- The Muslim Almanac ,P ۱۴۸ .

ص: ۱۹۳

إلى السجن، أو القتل أو أىّ شكل من أشكال التخويف على أيدى العصابات العنصريَّة التى أسَّسها البيض، والتى كانت تمارس أعمال العنف على مرأى ومسمع من الشرطة.

نتيجةً لهذه الحالة، شهدت بدايات القرن العشرين نشأة الكثير من الحركات القوميَّة فى أمريكا خاصَّة بين السُّود، مثل حركة SKIE

، وجماعة Aipha Phi Aipha ، وتراوحت تلك الحركات بين متطرِّفة ضدَّ البيض، وأخرى معتدلة خاصَّة لدى الطّبقة المثقَّفة. كما تراوحت المرجعيَّات الفكريَّة لتلك الحركات بين علمانيَّة، ووثنيَّة، وإسلاميَّة ومسيحيَّة، وإنْ كان الغالب على معظمها المزجُ بين تلك المرجعيَّات الدينيَّة.

أُولى تلك الحركات حركة مرقس غارفى Marcus Garvey التى أطلق عليها «الرابطة العالميَّة لترقية الجنس الأسود Universal Negro Improvement Associatation» التى نشطت منذ عام ۱۹۱۶، وهى حركة سياسيَّة اجتماعيَّة، دعا السُّود إلى تحرير أنفسهم من الظُّلم الاجتماعىِّ. قويت حركتُه لكنها انحلت بعد

ص: ۱۹۴

نفى مرقس من الولايات المتحدة.

وثانيتها حركة «الهيكل المغربى المقدَّس للعلوم Moorish Holy Science Temple»، التى أسَّسها الكاريبى تيموثى درو Thinothy Drew(۱۸۸۶ -۱۹۲۹) فى مدينة Newarkبولاية جيرسى. وتسمَّى فيما بعد بالشريف درو على، رافعاً نسبه إلى الأشراف بالمملكة المغربية، زاعماً أنَّ أصل السُّود فى الولايات المتحدة من آسيا، وأنَّهم ينحدرون من قبيلة كانت تسكن مكَّة وتُدعى «شَباز»

(۱). كانت دعوته خليطاً من المعتقدات الدِّينية الشرقيَّة والمبادىء الاجتماعيَّة، دعا السُّود إلى الارتداد عن المسيحيَّة واعتبرها دين البيض الآريِّين، وأمرهَم باعتناق الإسلام باعتباره ديانة أجدادهم الأصليَّة. كمّا دعا إلى انفصال السُّود عن البيض فى ولاية خاصَّة بهم داخل الولايات المتَّحدة، واسم خاصٍّ يحملونه (۲).

۱- Yvonne Yazbeck Haddad, The Muslims of America, p ۵۵.

۲- كان يضيف على أسماء الأتباع البادئة «ال-» أو «بيه» إشعاراً بأصولهم الآسيوية، وقد ظهرت نفس الممارسة عند محمد غارفى فى إعطاء أسماء شرقيَّة لأتباعه زعم أنَّها توحى إليه، وأنَّ ما يعطى لأىِّ شخص من اسم، فإنّما هو اسمه الحقيقى. كما ظهرت الممارسة نفسها عند إليجا محمد، بإضافته اللاحقة «X» إلى أسماء أتباعه، إشارةً إلى أسمائهم الأصليَّة غير المعلومة. وعلى كل، فإنَّ هذه الممارسة صورةٌ من الرَّفض لثقافة البيض والاندماج فيهم، ووسيلة لاستعادة الهويَّة المفقودة لدى السُّود فى أمريكا.

ص: ۱۹۵

ادَّعى الشريف درو على النبوَّة، وكتب كتيِّباً سماه (القرآن المقدس)، وهو- كما يصفه جاك كونراى- «مزجٌ غريبٌ لآيات القرآن الكريم، وجُمل من الكتاب المقدس، وكلمات مرقس غارفى، وقصص حول حياة يسوع، يربط هذه العناصر كلها بياناتٌ وتفسيرات المتنبى (درو على)» (۱). وقد لاقت دعوة درو على قبولًا موسَّعاً، وراقت أذواق الطَّبقة الكادحة من السُّود فى أوائل القرن العشرين، وكانت لها هياكل ومعابد نشطة فى ديترويت، وشيكاغو، ونيويورك، وغيرها من الولايات فى أمريكا، وراجت عقائد الطائفة بسرعة وقوِيت حتى وفاة المؤسس ۱۹۲۹. وعلى الرغم من الانحرافات الواضحة فى تعاليم درو على وبُعدها عن الإسلام الصحيح، ومزجها بين الشَّعائر والعقائد الإسلاميَّة

۱- دينس ووقر، «الإسلام بين الأرقاء السود فى شمال أمريكا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»، مجلة مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، مج ۱۴، عدد ۴، ص ۴۴ ۳۳.

ص: ۱۹۶

والمسيحيَّة، فإنَّها تعتبر الواجهة الأولى التى أيقظت فى الأمريكيين السُّود الشعور بالاعتزاز بهويَّتهم، وتقوية الوعى بضرورة العودة إلى الإسلام، والارتباط بأرض أفريقيا وآسيا.

ثالثة تلك الحركات حركة «أمَّة الإسلام» التى ظهرت فى غضون (۱۹۳۹) على يد والاس فارد محمد، فى أحياء ديترويت الشعبيَّة، وكان بائعاً متجوّلًا يتاجر فى الأقمشة والملابس. بدأ دعوته بالانخراط فى الاسَير، وتذكير السُّود بأصولهم الأفريقيَّة، مؤكِّداً لهم أنَّه جاءهم ليحملهم على «اكتشاف الذَّات». بعد كسبه لجماعة وتأسيس منظمته، وخروجه من الدَّعوة السريَّة، أسَّس مدارس للبنين والبنات، وأنشأ مؤسَّسات تجاريَّة، ومعامل خاصَّة للسُّود.

بحلول عام

۱۹۳۴

، اختفى فارد محمد فجأةً، وكان قد أوكل أمر الحركة إلى روبرت (إليجا) بول (۱۸۷۵ ۱۹۷۵) Elijah poole فكان أوَّل ما قام به إليجا ادِّعاء الألوهيَّة لفارد محمد، وادِّعاء النبوَّة

ص: ۱۹۷

والرسالة لنفسه (۱)، وسمى الحركة «أمَّة الإسلام المفقودة- الموجود فى مجاهل أمريكا الشمالية»

The Lost- found Nationof IsLam in the wilderness of North America

وزعم بأن الرَّجل الأبيض هو الشَّيطان نفسُه المذكور فى الكتب السماويَّة. ونشط فى تأسيس أماكن عبادة لأتباعه وسماها «معابد/ هياكل ولم يكن فرق كبير بينها وبين الكنائس. كما طوَّر المؤسَّسات التجاريَّة والمصانع، وأغرى البسطاء بالوعود الإلهيَّة للجنس الأسَود (۲).

عرفت حركة إليجا محمد عصرها الذَّهبى أيام الحاج مالك شباز، ولما توفى إليجا محمد، تولَّى زعامة الحركة ابنه والاس (وارث الدين) الذى أدخل تصحيحات جذريَّة فى تنظيم الحركة وفى تعاليمها، حيث أبطل دعاوى أبيه التحريفيَّة، وأعلن عن اتِّباعه لمنهج أهل السُّنة والجماعة فى الاعتقاد والعمل، هذا، وقد انفصلت عن والاس

۱- Lincoln Chartes Eric, The Black Muslim in the Unired States, P ۱۷ o.

۲- Ibid ,P ۱۳۵ ۱۳۶ .

ص: ۱۹۸

جماعةٌ بزعامة لويس فرخان، ملتزمةً بالدَّعاوى القديمة، وبالإيمان بنبوَّة إليجا محمد وتعاليمه وعقائده الباطلة.

ومهما يكن من مآخذ على هذا التنظيم فى عهده الأوَّل، فإنَّ من الملامح الإيجابيَّة فيه قوَّة الجانب الرُّوحى، ونجاحه فى شحن الأتباع بديناميَّة التَّطهير الذاتى، والتمسك بالهويَّة، والاحتراز المفرط من الذَّوبان فى الثقافة الأمريكيَّة.

ثانياً: مالكولم، المولد والنَّشأة

وُلِد مالكولم ليتْل بتاريخ

۱۹

مايو ۱۹۲۵ فى أوماها ولاية نبراسكا. والده ((Earl Little j من مواليد جورجيا، ووالدته ((Lousie Norton، نازحة من بلاد جزر الكاريبى. وهو الابن الرابع من بين سبعة أبناء رزِقت بهم «لُوِسا» (۱)، وله ثلاثة إخوة آخرين من أبيه رُزِق بهم فى زواجه الأوَّل قبل زواجه ب- «لويسا» أمِ

۱- هم بالترتيب: ويلفريد Wilfred ، وهيلدَا Hilds ، وفيلبير Philbert ، ومالكولم Malcolm ورِيجينا Regina ، ووِيسلى Wesley .

ص: ۱۹۹

مالك (۱). وقد صادف مولد (مالكولم) وصباه تصاعد الأزمة العنصريَّة، واضطهاد السُّود فى الولايات المتحدة، وكان صباه مهدَّد بشبح العنصريَّة البيضاء ضد السُّود فى الولايات الشَّمالية، وضدَّ أتباع حركة مرقس غارفى التى كانت أسرته زعيمة إحدى تجمُّعاتها؛ إذْ كان أبوه داعية (غارفى) مشهور، حاز اللَّقب الشَّرفى «الكاهن/ Reverend » كما حاز لقب «الرَّشيد/ Elder » لتزعُّمه الطائفة الغارفيَّة بأوماها، ونشاطه فى تنظيم أمورها، وإلقاء الخطب.

يتَّضح من سيرة حياة (مالكولم) وتصريحات إخوانه أن الإيديولوجيَّة الغارفيَّة وتعاليمها كانت الموجه لحياة الأسرة، وسلوك أفرادها، فإضافةً إلى تزعُّم الأب للطائفة الغارفيَّة، وكون الأم محرِّرة لأخبار الجماعة ونشر تعاليمها فى بعض الصُّحف، حرص كلٌّ منهما على تلقين الأبناء

۱- كان زواج مالكولم إكس فى تاريخ ۱۴ يناير ۱۹۸۵ ، بالأخت بيتى Betty X ، وكانت مثله أفريقيَّة أمريكيَّة، وتابعة لجماعة أمَّة الإسلام، ورزقت منه بستِّ بنات هن: ۱۹۵۸ Malaaka، ۱۹۶۵ Amilah، ۱۹۶۴ Ilyash، ۱۹۶۲ Qubilah، ۱۹۶۰ Attelah، Malikah وهما توأمتان وُلدتا بأشهر بعد اغتياله.

ص: ۲۰۰

مبادىء الحركـة، فكان الوالد يصـطحب مالكولم وأخوَيه إلى المعبد حيث يلقى الخطب، ويلقِّن الأتباع تعاليم الطائفة. أما الأمُّ، فكانت إذا اجتمعت الأسـرة حول النـار بعـد العَشاء، تحكى للأطفال عن ماضـى أجـدادهم السُّود العريق، وتنفث فيهم روح الاعتزاز بعنصـرهم الأسود (۱).

ولا شكَّ أن هذا الجوَّ النِّضالى الذى تفتَّح فيه (مالكولم) على الحياة، قد انطبع على تفكيره، ووجَّه الكثيرَ من تحرُّكاته وتصرُّفاته خلال مختلف مراحل حياته. وإذا أخذنا فى الحسبان الوسطَ العامَّ فى مدينة

Lansing

، والأسر الأخرى فى مجتمع السُّود،

۱- يوكِّد مالكولم وإخوته أنَّ والـدتهم حرصت على زرع الروح النقـديَّة فى نفوسـهم منـذ نعومة أظفارهم، ولم يكن لها انتماء محدَّد إلى دين على الرغم من اتِّباعهـا التـام لتعاليم الحركـة الغارفيَّة وبرنامجها الغـذائى، يقول ويلفرد شـباز أخو مالكولم الأكبر: «كانت تقرأ علينا الإنجيل، ونناقشـها معاً، لكن أمى كانت تصـطحبنا دائماً إلى مكان مختلف، كانت تأخـذنا إلى الكنيسـة المعمدانية؛ لاعتقادها أن لكل واحد من المذاهب الدِّينية المختلفة شـيئاً ينبغى عليها اكتشافه .. كانت تأخذنا إلى شـهود يهوه. وكانت تأخذنا كذلكإلى كنيسة المعمـدان ... وفى ظـلِّ هـذا المنـاخ من الحركـات والطوائف الـدينيَّة المتعـدِّدة إلى جـانب المسـيحيَّة التقليـديَّة نشـأ مالكولم وإخوته، تشـجعهم الأم على دراسـة الأديان، ولكن دون الانخراط فى دين معيَّن أو التَّعصب له على حساب الأديان الأخرى، وقـد ظهر أثر هـذه التربية جلياً فى مالكولم وإخوته، واهتمامهم بالمناقشات الدينية On the Side of my People ,p ۵۰۵۱

ص: ۲۰۱

أدركنا مدى الأثر الأيديولوجى الذى كان تربةً خصبةً لنماء الوعى القوميّ والدينى لدى جيل مالكولم من أبناء الأمريكيّين السُّود.

ومن الأحداث التى شحذت نفسيَّةَ مالكولم وحفرت فى ذاكرته أسى دفيناً، وكراهيَّةً للبيض منذ نعومة أظفاره، ما رواه فى سيرته عن حادثة إحراق منزل أسرته على يد عصابة «كو كلوس كلان» العنصريَّة فى أوماها (۱). حيث أتى رجال مقنَّعون ذات ليلة؛ فكسَّروا النوافذ، وأشعلوا النار فى المنزل، وأطلقوا عبارات عنصريَّة، وطالَبوا الأسرة بالهجرة من بين أظهُرهم. وقد لخص مالكولم هذه الحالة بقوله: إن

---

۱ - Ku Klux Klan عصابة عنصريَّة إرهابيَّة سريَّة، تأسست منذ عام ۱۸۶۵ بعد الحرب الأهلية الأمريكية، فى ولاية تينيسى Tennessee، لمحاربة الجنوبيين الجمهوريين من البيض، وجميع «الملوَّنيين» فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ومعارضة انتقالهم أو سكناهم فى بعض المدن والأحياء، وتقوم العصابة بهجومات منتظمة على اليهود والسود بكسر نوافذ بيوتهم، أو إحراقها، وإتلاف ممتلكاتهم، وربما الاعتداء عليهم بالقتل، وممارسة صُور الاستفزاز والتخويف. ولا تزال تلك العصابة نشطة بأشكال وهيئات متعدِّدة حتى وقتنا الحاضر.

ص: ۲۰۲

مولدَه وصباه كان فى الرُّعب والخوف (۱).

والأـمرُّ أنَّه حين أشـعل البيض النـار فى المنزل، وهرعت الأسـرة للنجـاة بنفسـها، يقول مـالكولم: «جـاء رجال الإطفاء والبوليس البيض، ووقفوا يتفرَّجون على المنزل المشتعل إلى أنْ أتت النار على المنزل بأكمله»!

وفى عام

۱۹۳۱

حين كان مالكولم فى سن السَّادسة تفاقمت المأساة حين عُثِر على جثة والده طريحاً على سكة حديديَّة، وكان تقرير البوليس أنَّ قطاراً صـدمه، بينما أصـرَّ مجتمع السُّود أنَّه ضُـرِب وجُرح قبل أن يلقى تحت عجلات القطار .. يقول مالكولم: «كنت فى السادسة من عمرى آنذاك، لكنَّنى كنت قبلُ قد تعلَّمت أنَّ كون الإنسان أسودَ فى هذا البلد مثار مشاكل» ((۲)).

بعد موت عائل الأسرة وكاسبِها، ظلَّت الأمُّ تجاهد وتكدُّ لتربية الأطفال وتأمين حاجاتهم، لكن المناخ العنصرىَّ لم يكن

۱- Malcolm X Speaks ,p ۱۳۵ .

۲- DeCaro ,On the Side of my People ,p ۴۷

ص: ۲۰۳

ليرحم الأرملـة المغلوبـة وأيتامها الصِّغار، فلم يكن من اليسـير الحصول على عمل منزلى لـدى البيض، ولم ينفع إيقاف أخوَى مالكولم الحـدَثَين الدِّراسـة ومساعـدة الأمِّ فى طلب لقمـة العيش، ومع تزايُـد وطأة الفقر، والمطالب الماليَّة كانت الأم تشـعر من يوم لآخر بحدَّة النفس، وزيادة القلق على مصيرها وعلى مصير أبنائها.

هذا، وقد زادت اسـتفزازات الجيران البيض للأسـرة فى حدَّة نفس الأم، حتى وصَـموها بالاضطراب النفسىِّ، ومن هنا تدخَّلت جمعيات الرعايـة الاجتماعيَّة، لأخـذ الأطفال وتوزيعهم على مراكز رعايـة الأطفال؛ فكان ردُّ الأمِّ الرفض القطعى لهـذا التفريق بينها وبين أبنائها، ولم يزل رجال الرعايـة بنفوذهم الحكومى حتى انتزعوا منها أبناءها، وكان ذلك إيذاناً باضـطراب نفسـىٍّ محقَّق للمرأة، أدخِلت بعدها فى مصحَّة نفسيَّة وظلتَّ بها أكثر من عشرين عاماً.

بعـد أن تفرَّق الأطفـال أيـدى سـبأ بيـن مراكز رعايـة الأطفـال، وُكِّل مـالكولم إلى أسـرة أفريقيَّة أمريكيَّة، ومـن ثـم إلى مركز لرعـاية الأحداث فى ميشغان، ولم يرُقه

ص: ۲۰۴

المكـان بـأىِّ حـال؛ إذ كـان هو الأسودَ الوحيـدَ بين الأطفال البيض، وكان بعض المربين البيض يستفزُّونه بتعليقات عنصريَّة متكررة، وكان سبب خروجه من إحدى تلك المراكز، وهروبه من الدِّراسة سخرية أحد المرِّبين منه حين ذكر له مالكولم أنَّ أمنيته أن يصبح محامياً، فنصحه المعلِّم بأن يختار مهنة النِّجارة؛ لأنَّ المحاماة لا تنسجم واقعاً مع «زنجى».

انتقل مالكولم بعد ذلك إلى السَّيدة «إيلَا»

Ella

، وهى أخته من أبيه، وقد كانت سيِّدةً فاضلةً محترمة، قال عنها مالكولم: إنَّها أول امرأة سوداء رأى فيها الفضل والثِّقة والاعتزاز بنفسها .. قامت هـذه المرأة بدور فعَّال فى مساندة مالكولم فى شتى مراحل حياته، وكان أكبر تلك المواقف إمدادها إيَّاه بالمال لأداء فريضة الحجِّ مما كان له الأثر المباشر فى التغيير الجذرىِّ فى حياة مالكولم وفكره، وحركته الدينية.

ص: ۲۰۵

وفى شوارع ديترويت، اجتمع مالكولم ليتل بمجموعة من الشباب السُّود المتسكِّعين فى البارات، وعلى أبواب المتاجر، وفى الأزقَّة المظلمة، وكان من أهمِّ أنشطتهم بيع المواد المختلفة من أحزمة، ومناديل يد، وسجائر، وعطور، ومسح أحذية ... كانت تلك المهن الشَّريفة لديهم، لأنَّ النشاط الفعلىَّ لدى بعضهم كان فى تهريب المخدرات، والسَّطو على المنازل، والسَّمسرة بين البغايا وزبائنهن.

سرعان ما انخرط مالكولم عملياً ونفسياً فى هذا المجتمع، وحاز لقب «أحمر ديترويت Detroit Red»؛ فبدأ يلبس على طريقة ال- «هيبْ»: بذلة طويلة، حزام ضيِّق، وقبّعة ذات ريش طويلة، وصبغ الشَّعر باليود الملوَّن والمليِّن، وتدخين الأفيون .. وبالجملة، كان مالكولم «قد فقد- كليّاً- شعورَ بهويّته، وفقَدَ

ص: ۲۰۶

الشُّعور بذاته» (۱). ووصَف مـالكولم تلـك الحالـة التى ألجأت الآلاف من أمثاله من السُّود إلى مثل هـذا العيش والتردى بقوله: «حين تنخرط فى مجتمع الغيتو، مثلما كنتُ أنا، فإنَّك تدخل فى عالَم الوحوش، ويصبح البقاء للأقوى قانوناً محتوماً» (۲).

تعـدَّدت نشاطات مالكولم غير القانونيَّة حين عمله خادماً فى إحـدى المراقص الصَّاخبـة فى حيِّ هارلْم؛ حيث كان المكان ملتقى تجار الأفيون، ولاعبى «الحظ»، وسماسـرة البغايـا، وعصابات السَّطو على المحلات التجاريَّة، وهكـذا وجـد مالكولم نفسَه منجرفاً فى تجارة الأفيون التى درَّت عليه الأرباح الطائلة .. «ظللتُ أضاعِف أرباحى، وبضاعتى، وقلَّما كنت أنام .. كانت فى جيبى رزمة ضخمة من المال ..» (۳). وقوِيت شوكـةُ مـالكولم حتى كوَّن عصابـة إجراميَّة للسَّطو على البيوت وسـرقة المجوهرات، تألَّفت تلك العصابـة من صـديقة «شُورْتى»، ورفيق

۱- Malcolm X ,Autobiography ,p ۵۴ .

۲- Ibid ,p ۱۰۲

۳- Ibid ,p ۹۹

ص: ۲۰۷

آخر، ومن بِنتَین بیضاوَتین: صوفیا وأختها.

وعلی الرغم من وصف مالکولم هذه الفترة بحیاة «الأوحال»، فإنَّ ما یُحمد لهذه الفترة فی حیاة مالکولم تعمیقه لخبرته بحیاة عامَّة الناس، ووقوفه- فی کلِّ دقیقة من تلک التَّجربة- علی جروح المجتمع الدَّامیة، من تشرُّد، وبطالة، وظلم، وشقاوة، وسرقة، ودعارة، وسطو علی الأبریاء، واحتیال، وإدمان مخدرات، وکل ما یتَّصل بذلک من أدواء اجتماعیَّة، یقول مالکولم: «کان أکبر زبائنی المبشِّرون، وزعماء الحرکات الاجتماعیَّة، ورجال الشُّرطة، ومختلف المسؤولین عن حیاة الآخرین ومصیرهم» (۱).

ولا- شکَّ أن هذه التَّجربة الحیَّة کان لها أثرها القویُّ فی حدَّة حساسیَّة مالکولم لعلاج تلک الأدواء، وفی تعمیق معرفته بنفسیَّات «المرضی» و «الضَّحایا» و «الذِّئاب» ومعرفته للدَّواء المناسب لکل حالة.

۱- Lomax E .Louis ,When the Word is Given ,p ۵۰.

ص: ۲۰۸

ثالثاً: السِّجن والاهتداء إلى الإسلام

ألقى القبض على (مالكولم إكس)، وهو فى الواحد والعشرين من عمره، بعد محاولته إصلاح ساعة يد ثمينة سرقها من أحد البيوت، وحُوكم وادين بتهمة السَّطو المسلَّح على المنازل، والحيازة غير القانونيَّة للسِّلاح النارى، وزُجَّ به فى سجن شارلستون عام ۱۹۴۶

لقضاء عشر سنوات، فكانت تلك الحادثة كفيلةً لأنْ يعود (مالكولم) إلى نفسه ويثوب بعض الشىء، ويحدِّث نفسَه عن أحوال بنى جلدَته السُّود، ووضعِهم فى المجتمع الأمريكىِّ العنصرىِّ. بل إن (مالكولم)- وإنْ كان يعترف بجُرمه- رأى أن شدَّة العقوبة لم تكن بفداحة الجُرم بقدر ما كانت بسبب عشرته للبنت البيضاء، صوفيا وأختها، وإشراكه إيَّاهما فى عمليَّات السرقة مما أثار ثائرة القاضى عليه. وقد صرَّح القاضى لمالكولم بذلك لدى إسماعه إيَّاه قرار المحكمة بقوله: «ليس لك فى بنات البيض سبيل، وسوف يلقِّنك هذا درساً فى الابتعاد عنهن»!

وعلى كلٍّ، فإن مبادرة عائلة

ص: ۲۰۹

(مالکولم)، ودعوتهم إيَّاه إلى «التَّوجُّه إلى القبلة والصَّلاة لله» جاءت فى أوانها حين بدأ مالکولم يشعُر أنَّه بحقٍّ رهينُ محبَسَين: سجن جسدى، وسجن روحىٍّ، فکانت دعوة إليجا هى المخرج لانتشاله- أوَّلًا- من أشدِّ السِّجنَين، ألا وهو السِّجن الرُّوحى.

بقى (مالکولم) فى سجن «نورفولک» حتى مارس ۱۹۵۰ حين حُوِّل مرَّة أخرى إلى سجن شارلستون بتهمة العصيان، ولکن السَّبب الحقيقىَّ وراء هذا التَّحويل کان للحدِّ من تأثير (مالکولم) على السجناء، وقد جاء فى تقرير السِّجن ما يؤکِّد ذلک إذ قيل عنه: «مراسلاته ترتکز على العقيدة الإسلاميَّة، وعلى الکُره الشَّديد للجنس الأبيض» (۱).

بالعکس، لم يحد هذا التَّحويل من نشاط (مالکولم) الدَّعوى، بل استمال إلى الإسلام زمرةً من رفاقه کالأخوَين: أسبورن ولوروى Osborne LeRoy، والأخ مالکولم جارفيس Jarvis ، وقد کان تصرُّف تلک العصبة من السُّجناء ملفتاً للنَّظر والاهتمام منذ

۱- DeCaro ,On the Side of my People ,p ۹۰

ص: ۲۱۰

عهـدها الأوَّل بسـجن شارلسـتون، حيث طالب هؤلاء إدارة السِّجن بأن تكون وجباتهم اليوميَّة حسب النِّظام الغـذائى الذى وضـعه إليجا محمد، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، وطالبوا بأن يوضعوا فى زنزانات مواجهة للقبلة.

من جـانب آخر، فـإن (مـالكولم) قـد ألفت إليه الأنظـار بملَكته الخطـابيَّة، فكان يناظر الأساقفـة الزَّائرين للسـجن، ويبهتهم بملاحظاته، ويحرجهم باعتراضـاته الكـثيرة على الإنجيـل، مثـل اعتراضه على الصُّورة النمطيَّة التقليـديَّة للمسـيح حيث يُصوِّره البيض بعيون زرقـاء، وشعر ذهبى، وبِشرة بيضاء .. فقد أفحم (مالكولم) مناظريه بأنَّ المسيح كان أسوَد ملوَّناً، أو على الأقلِّ، كان من شعوب الشَّرق الأوسط، لا مِن الجنس الآرى (۱).

وهكذا، لم يكن (مالكولم) يدع فرصةً إلّا ويصدع فيها بإسلامه، ويعلن عما يراه الحقَّ. وظهرت بوادر شخصيَّته القويَّة منذ

۱- Ibid ,p ۹۱

ص: ۲۱۱

مكثه فى السِّجن، ووقوفه فى خندق المظلومين. ففى أبريل

۱۹۵۰

، كتب إلى مفوّض السجن السيد ماكدويل McDowell خطاباً حادَّ اللَّهجة دفاعاً عن أخ مسلم أودع زنزانةً منعزلة بسجن نورفيلك. ابتدأ (مالكولم) خطابه بقوله: «بسم الله العليم الحكيم، الحق الحيِّ، وباسم نبيِّه المقدس .. السيد إليجا محمد ... (!!)» (۱). وأثقل الخطاب بالوعيد للكفرة والظالمين، ونَدَّد بالذين يظلمون الناس لا لذنب إلَّا لأنَّهم يصلون مستقبلين الشَّرق (القبلة). وكتب مرَّة أخرى خطاب احتجاج إلى المفوض نفسه، ينـدِّد فيه بأحد الموظفين الذين منعوا أحد المسلمين من الانخراط فى برنامج محو الأميَّة، ولم يفت (مالكولم) فى ذلك الخطاب أن يسخر من حالة التَّردى الخلقيِّ فى السِّجن حيث يحظى «اللُّواط» بما يسهِّل لهم شذوذهم، ويُمنع المسلمون المنضبطون من حقوقهم الطبيعيَّة.

إجمالًا، يمكن القول: إنَّ مرحلة السِّجن كانت السَّانحة التى استغلَّها (مالكولم)

۱- Ibid ,p ۹۲

ص: ۲۱۲

أحسَن استغلال لتشکيل نفسه ثقافياً وعلميّاً؛ فأکبَّ على مکتبة السجن الداخلية، والتحق بفصول تکوينيَّة فى المراسلة، ومهارات التَّعبير الکتابى، ونمَّى ذخيرته اللغويَّة بحفظ معجم لغوىٍّ ضخم. أما من الناحية الثَّقافية، فقد عکف على کتب التاريخ والحضارة الأفريقيَّة والأمريکيَّة، والفلسفات الشرقيَّة. کما نمَّى ملَکته الخطابيَّة بالانخراط فى فرقة الخطابة والمشارکة فى المناظرات.

وإلى جانب المطالعات الکثيرة، فإنَّ مالکولم قد وجد فى السِّجن بعض النُّزلاء ممَّن هم على قدر عال من الثَّقافة والمعرفة، وتعلَّم منهم الکثير، ومن أولئک الذين أشاد بهم فى سيرته الذَّاتية، الشاب الأسوَد الذى أشار إليه باسم

Bimbi

يقول عنه: «کان بيمبى يکسب کلَّ نقاش يخوضه، وکان الرَّجلَ الأوَّلَ الذى رأيتُه يفرِض احتراماً مطلقاً بکلامه». لکن بيمبى کان ملحداً، وکان تعلُّق مالکولم به بسبب حديثه العميق فى الأديان، وقد سبق بنا أنَ

ص: ۲۱۳

والـدة مالكولم قـد أرضـعته وإخوانه على التفتـح للمناقشات الدِينيـة. وهكـذا، بالمطالعات الطَّويلـة، والتعلم الـذاتى، عالج مالكولم داءَ الجهل فى نفسه، لإدراكه أنَّ الجهل هو السَّبب الأساس فى سـلوكه الإجرامىِّ ... صـرَّح بهـذه الحقيقة فى خطاب له إلى الضابط مأمور السـجن حين طلب التَّحويل إلى سـجن آخر، قال: «إن السـبب الأساس فى طلبى الانتقال إلى سجن نورفيلك رغبتى فى تثقيف نفسى، فالتَّسـهيلات التربويَّة هنالـك غير موجودة فى غيرهـا، فلو أنى كنت أكملتُ تعليمى لمـا كنت الآن قابعاً فى الحبس. إنَّنى اليوم أقضـى عشـر سـنوات جزاء جريمتى الأولى، إنَّ ذلك لا يجرح كثيراً .. لقـد أدركتُ خطئى منـذ أمـد بعيد، لأنَّه من المسـتبعَد أن يسـطو رجلٌ متعلِّمٌ على منازل الناس»

(۱).

ظلَّ «مالكولم» بهذا السِّجن حتى أغسطس ۱۹۵۲، حيث أطلق سراحُه، وانتقل بعد ذلك إلى ميشغان مع أخيه ويلفرد. Wilfredوعلى

۱- ۲۸ Letter from Malcolm little to Me. Dwyer, Norfolk peison Colony Transportation Board, July, ۱۹۴۷, PF.

ص: ۲۱۴

الرغم من عدم اجتماع (مالكولم) بقائده إليجا محمد وجهاً لوجه منذ إسلامه إلى خروجه من السِّجن (فى أغسطس ۱۹۵۲)

، فإنَّ العلاقة بين الرَّجلين كانت قد توطَّدت عبر المراسلات الأسبوعيَّة المنتظمة بينهما، استطاع إليجا محمد من خلالها أن يلقِّن (مالكولم) فلسفته الدِّينية، وأثبت (مالكولم) كذلك نجابته وإخلاصه وجدارته بحمل لواء حركة إليجا.

مالكولم إكس والانخراط فى (أمَّة الإسلام)

ما كاد المريد النَّبيه (مالكولم) يخرج من السِّجن، ويلحق بقائده، ويضيف إليجا على اسم مالكولم اللاحقة «إكس» (۱) إلّا وترقَّى فى سلك التَّنظيم، وشهدت الحركة كذلك- آنذاك- عصرها الذهبى وتطوُّرها المطَّرد فى عدد الأتباع، ونوعيَّة التنظيم.

وعلى سبيل المثال، فقد كان من عادة وزراء الحركة فى ديترويت أن يقصدوا

۱- فى الرياضيات، يُرمَز ب- X إلى قيمة غير محدَّدة. وكانت إضافته إلى أسماء المسلمين السود إشارةً إلى أسمائهم القبليَّة المفقودة بفعل الحملة الاستعباديَّة، وتعبيراً عن رفضهم للأسماء المعطاة لهم مِن قبَل أسيادهم البيض.

ص: ۲۱۵

مدينـة شـيكاغو مقرَّ الحركـة العـام فى مناسـبة الاحتفـال بعيـد الحركـة السـنويِّ للاسـتماع إلى إليجا، وكانت القافلـة الأولى التى أقلَّت (مالكولم إكس) مع بقيَّة وزراء الحركـة إلى شـيكاغو عام ۱۹۵۲ سـيارتَين. وما أن باشـر (مالكولم) عمَله فى الدَّعوة للحركة، واستمالة الأتباع الجـدد من أحياء السُّود الفقيرة (الغيتو)، ومن البارات، وزوايا الزِّقاق المظلمـة، وعلى أبواب الكنائس، وفى تجمُّعات السُّود .. إلّا وتضاعف أتباع الحركة قبل أن يحول الحَوْل، فإذا (مالكولم) يحدو قافلةً من السَّيارات إلى شيكاغو عام ۱۹۵۳ مجموعها ۵۲. فلم يكن من القائد إليجا محمد إلا المسارعة فى تعيين (مالكولم) فى مرتبة «وزير كامل

Full Minister

» بالهيكل رقم ((۱، وهو الهيكل الأوَّل الذى أسَّسه المعلم فارْد محمد نفسُه.

ومنذ أن تفرَّغ (مالكولم) للعمل بحركة (أمَّة الإسلام)، أصبح يقضى ليلَه ونهارَه فى تجنيد الأتباع الجدد، وإقامة المحاضرات، وتأسيس الهياكل (المساجد) الجديدة، وكثُرت أسفاره من أدنى الولايات إلى

ص: ۲۱۶

أقصاهـا، وأثمرتْ تلـك الجهود الـدعويَّة الجبـارة، وشخصـيَّة (مالكولم) المؤثِّرة فى تضـخُّم أتباع الحركـة من حوالى ۴۰۰ عضو زمَن التحاق (مالكولم) بالحركة، إلى حوالى أربعين ألف عضو.

هـذا، وكـان من الملامـح المميِّزة للحركـة- قبل عهـد مالكولم- تمركُزها على الطَّبقـة الفقيرة من العُمال فى المصانع، وسـكان الأحياء الفقيرة المنعزلـة، لكنْ بحلول عام ۱۹۵۷، كانت حركـة (أمَّة الإسـلام) قد اسـتهوت كثيراً من المثقَّفين والأكاديميِّين، ورجال الأعمال، ورجالات الفكر والأدب السُّود.

وبالمِثل، فإن المسـتوى الأيديولوجى للحركة فرض حضوره فى المجتمع الثقافىِّ الأمريكى، وجعل مختلفَ الطَّوائف الدينيَّة والسياسـيَّة والفكريَّة تعير (أمَّة الإسـلام) وطروحـات الوزير مـالكولم اذنـاً صاغيـةً، واعتبـاراً خاصـاً. وفى تلك الفترة ((۶۰- ۱۹۶۹ اكتسـبت (أمَّة الإسلام) شهرةً محليَّةً وعالميَّة موسَّعة، وذلك بمشاركة (مالكولم) فى المناظرات والمحاورات الإذاعيَّة

ص: ۲۱۷

والتلفزيونيَّة، وإلقائه الكلمات فى مـدرجات المعاهد والكليَّات، وقيام بعض الصُّحف والمجلَّات العالميَّة الشـهيرة باسـتطلاعات متكرِّرة عن الحركـة، أمثال مجلـة: لايْف، ولوكْ، ونيوسْويك، ورَايْـدِرْ دايجِيستْ (۱). ونجحـت أجهزة FBI فى تلـك الفـترة فى دسِّ بعض عيونها فى الحركة؛ للتجسُّس عليها وعلى حياة مالكولم الخاصَّة، فكان من تلك العيون أحد حرَس مالكولم المقرَّبين.

ومن المعارك الفكريَّة العنيفة التى خاضـها (مالكولم إكس) فى تلك الفترة معارضته لدعوة الاندماج، وسياسة السَّلام التى كان يروِّج لهـا المسـيحى الأفرو- الأمريكى مارتنْ لوثر كينغ (۱۹۲۰- ۱۹۶۴, Martin L .King)، حيث احتـجَّ مالكولم أنَّ النِّظام السِّياسـى والاقتصادى الأمريكىَّ مؤسَّسٌ على التَّمييز العنصـرىِّ والظّلم فى أساسـيَّاته وتفاصـيله، وأن كلَّ انـدماج فى مثل هذا الجهاز لن يزيد إلّا فى تعاسة الفقراء والمغلوبين من طبقة السُّود العاملة.

۱- Clifton E. Marsh, From Black Muslims to Muslims, p ۵۵.

ص: ۲۱۸

واعتبر مالكولم- كذلك- المسيحيَّة جهازاً من أجهزة الاستغلال فى يد الأمريكيِّ الأبيض، ونفى ملاءمتها روحيّاً للرَّجل الأسوَد. يقول: «المسيحيَّة دين الرَّجل الأبيض، فالإنجيل فى يد الرجل الأبيض وتفسيره الخاص له، قد كان السِّلاح الأيديولوجى الأفعَل لاستعباد ملايين الناس غير البيض» (۱). وعضَّد (مالكولم) موقفه ذلك بعقيدة «شيطانيَّة الأبيض»، والعداوة الحتميَّة بين الأبيض والأسوَد التى قال بها المعلم فارْد محمد. لكن (مالكولم) ألْمح إلى أنَّه لا يقصد ب- «شريَّة الأبيض» أفراد البيض بقدرِ ما يقصد بها جنسهم، «لسنا نعنى أىَّ فرد من البيض، بل إننا نعنى المجموع العامَّ لتاريخ الرجل الأبيض، وقسوتَه الجماعيَّة، وشرورَه، وجميع تصرُّفاته الشَّيطانيَّة ضدَّ غير البيض» (۲).

وبقيام الحركات التَّحرُّرية فى حقبة الستينيات فى أفريقيا وآسيا، ودعوتها إلى الاستقلال، وخَوض بعض الشُّعوب

۱- Malcolm X ,Autobiography ,p ۲۴۱ ۲۴۲

۲- Ibid ,p ۲۶۵

ص: ۲۱۹

(الفيتنام مثلًا) حروباً ضروساً ضدَّ القوى الاستعماريَّة ... غدت دعوات (مالکولم) وحرکته أکثر مصداقيَّة، وأکثر قوَّة فى إقناع الجماهير بعقيدة «شيطانيَّة البيض». ومنذ تلک الفترة، أصبحت حرکة (أمَّة الإسلام)، تکتسب بُعداً دوليّاً، ومساندةً خارجيَّة من لدُن زعماء الحرکات التَّحرُّرية فى أفريقيا وآسيا، وجزر المحيط الهندى الغربيَّة، وکان (مالکولم) بالطَّبع، مرکزَ الضَّوء فى هذا الاعتبار.

جديرٌ بالذّکر أنَّ قائد الحرکة الأعلى إليجا محمد، على الرغم من ارتياحه بتطوُّر الحرکة، وتضاعُف أعداد الأتباع، لم يکن راضياً بأن يسلک (مالکولم) بالحرکة بعداً انفتاحيّاً دُوليّاً، أو ينحوَ بها منحىً أيديولوجيّاً، وکان ذلک- بالذَّات- بداية الخلاف بينه وبين مريده المخلص. بل بينه وبين الجيل الشَّاب من أتباعه ممَّن کانوا يشاطرون (مالکولم) وجهتَه الانفتاحيَّة.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ الحرکة قد شهدت أزمتها الداخليَّة منذ عام (۱۹۶۱)

حين

ص: ۲۲۰

تألّق نجم (مالکولم)، ودبَّ الحسد فى نفوس السِّلک الوزارىِّ داخل الحرکة، فاشيع أنَّ مالکولم يريد أن يستأثر بالحرکة، وأنَّه يؤلِّب بعض وزراء الحرکة الشَّباب على مرکز سلطةِ الحرکة فى شيکاغو ... ويبدو أن بعض الوقائع تواطأت فى تقوية تلک الإشاعات فى نفس إليجا محمد، منها تمرُّد ابنه والاس محمد عليه عام ۱۹۶۳، ووصفُه تعاليم والدهِ بالضَّلال والخروج عن الإسلام الصَّحيح، ولما أبعِد عن الحرکة، ووُصِف بالنِّفاق، لم يشجبْ (مالکولم) فعلته، ولم ينطقْ فى حقِّه بسوء.

إضافةً إلى ذلک، فإنَّ فضيحة إليجا محمد الجنسيَّة عام ۱۹۶۳ جاءت لتعصف بالکثير من هالة القداسة التى کان (مالکولم) قد أضفاها على قائده الرُّوحى، ولتُرغمه على إعادة حساباته فى قيادة الحرکة، والشُعور بتأنيب الضَّمير فى سَوق الجماهير المتحمِّسة إلى مصير غير مأمون تحت قيادة إليجا؛ فبدأ يکرِّس جهودَه فى المشکلات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لأتباع الحرکة، ويوسِّع اهتماماته بالعالَم الخارجى.

کان اتِّساع الخَرق وعکْر الصَّفو بين

ص: ۲۲۱

(مالكولم) ومعلِّمه إليجا فى أواخر عام ۱۹۶۳، حين اغتِيل الرئيس الأمريكى جون كيندى، وسُئِل (مالكولم) عن رأيه فى هذا الاغتيال؛ فأبدى مالكولم شماتته بكيندى مشيراً إلى أنَّ الدَّهر قد أنصف منه، ولقىَ جزاءه فى تواطؤ حكومته فى سلسلة من الاغتيالات، مثل اغتيال الرئيس Patrice Lumumba والأمريكى Medgar Evers وغيرهما .. وقد كان هذا التَّصريح الجرىء سبباً فى تبرّى إليجا منه، وعزْله عن وزارة الهيكل رقم ((۷ بنيويورك، ومنعه عن الحديث باسم الحركة لمدة ((۹۰ يوماً. لكن (مالكولم) لم ينتظر انقضاء العدَّة، بل أعلن انفصالَه عن الحركة وتعاليمها العنصرية.

ومن المعلوم، أنَّ إليجا محمد كان على يقين بانتهاء فعاليَّة «النُّسخة الإسلاميَّة» التى قدَّمها للأمريكيِّين السُّود، وعدم صلاحيَّتها لتطلُّعات الجيل الجديد، غير أنَّ انفصال مالكولم المعلن عن حركته كان صفعةً قويَّة، وتهديداً مباشراً لزوال ملكه، وأنَّ ذلك سوف يعصف بالعرش الذى بناه لنفسه على مزاعم غير ملتئمة مع الواقع والحقيقة، فعقيدة نبوَّة إليجا،

ص: ۲۲۲

وعقيـدة حرب الهرمجـدون التى يهلك الله فيها البيض، وتحلُّ مملكة السُّود، والدَّعوة إلى إعطاء السُود ولايةً خاصَّة بهم فى أمريكا ... كلُّ تلك الدَّعاوى كان الدَّهر قد عفا عليها.

وإضافة إلى مـالكولم، فقـد رأى إليجا سلسـلة من الاعتراضات المتكرِّرة والتَّمرد على تعاليمه وادِّعاءاته خاصَّة لـدى أقرب الناس إليه، وأولاـده ممَّن يقفون- عن كثب- على خبايا حياته وتصرُّفاته .. خرج عليه ابنه والاس محمـد أكثر من مرَّة، وخرج عليه حفيـده حسـن شريـف فى ۱۹۶۴، وخرج عليه ابنه أكـبر محمـد عـام ۱۹۶۵ وقـد أشـاد كـلُّ أولئك بمالكولم، ورفضوا النَّيل منه، وسـمَّى أكبر محمد إسلامَ والده ب- «صناعة محليَّة» (homemade) وأنَّه لا يعكس الصُّورة الأصلية للإسلام.

ص: ۲۲۳

منظمة «مسجد المسلمين المتحد Muslim Mosque Inc»

فى مارس ۱۹۶۴ أعلن (مالكولم) انفصاله عن (امَّة الإسلام)، وتأسيسَه لمنظمة خاصَّة باسم «مسجد المسلمين المتحد»، وأنَّ منهجه المنهج الإسلامى السَّلفى، ودعا جميع المسلمين إلى العمل معه من أجل رفعة الإسلام، وأسَّس هيئة سياسيَّةً أخرى باسم: الوحدة الأفرو- الأمريكيَّة.

Afro Amerecan Unity

كان الهدف من تأسيس تلك المنظمة جمع الأمريكيّين السود- بصرف النظر عن أديانهم- للعمل مجتمعين لتحقيق حقوق الإنسان. وعلى ذلك، فإنَّ (مالكولم إكس) رجع عن مواقفه المعادية للبيض؛ إذْ دعاهم إلى العمل فى مجتمعاتهم لمحاربة صُورَ الظُّلم، والعمل لتحقيق الأـخوَّة الحقَّة بينهم وبين السود، غير أنَّه لم يفتح منظمته الفتيَّة للبِيض، معلِّلًا ذلك أنَّ تحقيق الأخوَّة بين البِيض والسُّود لا يتمُّ إلّا بتحقيق الاتِّحاد والتَّعاون بين السُّود

ص: ۲۲۴

أنفسهِم (۱).

وواضحٌ من هذا الإطار أنَّ جميع المقدِّمات كانت تنبىء بأنَّ (مالكولم) يخطِّط لحركة عالميَّة ذات شأن خطير فى المطالبة بالحقوق الإنسانية، فَمِن دعوته إلى الوحدة الأفريقيَّة(Pan -Africanism)انطلق إلى المطالبة بحقوق شعوب العالَم الثالث، والاهتمام ب- «الإخوة» فى أمريكا اللَّاتينية، و «الإخوة» الصِّينين .. ومن تصريحاته الشَّهيرة قوله: «ينبغى على الرَّجل الأسوَد الأمريكى أن يدرك أنَّ على عاتقه مهمَّة كبرى فى استدعاء الولايات المتحدة الأمريكيَّة للامتثال أمام محكمة الأمم المتَّحدة بتهمة أساسيَّة فى خرق حقوق الإنسان» (۲).

ومن الخطوات الناجحة فى تلك الفترة تكثيف مالك أسفاره ولقاءاته بالعلماء، والمؤسَّسات الإسلاميَّة، وبالزُّعماء والقادة فى أفريقيا وآسيا، فزار غانا، ومصر، والسودان، والتقى

۱- Coiftonn E, From Black Muslims to Muslims, P ۶۰.

۲- Malcolm X ,Autobiography ,P ۳۶۱

ص: ۲۲۵

السُّفراء من مختلف البلدان.

والجدير ذکره أنَّ مالک فی ظلِّ جماعة (أمَّة الإسلام) لم يکن بمقدوره الانفتاح علی الجماعات الدينيَّة والسياسيَّة الأخری خارج الولايات المتحدة؛ إذ کان من سياسة إليجا محمد الحفاظ علی جماعته داخل «شرنقة» مغلقة تمنعها من الاختلاط بالخارج وتبادل الآراء. وقد صرَّح مالک بذلک فی مقابلة منشورة له بصحيفة «صونداى غلانْدر

Sunday Glender

» الجامايکيَّة، قال: إنَّه طالما تاق إلی زيارة البلدان الکاريبية لکنَّ قائده لم يکن ليسمح له بذلک، قال: «بصفتی مسلماً أسوَد، وفی حرکة المسلمين السُّود، لم يکن بمقدوری السَّفر إلی هناک [الکاريبی]؛ لأنَّ السيد محمد لم يکن يشجع أتباعه علی الذِّهاب إلی أیِّ مکان شاءوا، بل کانت تشغلهم مشاغل أمريکا عما عداها».

حتی إنَّ الجولة التی قام بها إليجا إلی أفريقيا وآسيا (عام ۱۹۵۹- ۱۹۶۰ کانت بإيعاز من مالک، يقول: «لقد زرت تلک البلاد بصفتی مندوباً للسيد محمد، وبالطبع، فقد کنت واضع هذه الرحلة

ص: ۲۲۶

ومخططها. وكان السبب الأوحد فى عدم عودتى إلى تلك البلاد، أنّه ما كان ليدعنى أذهب، فلم يكن يشجِّع أيّاً من أتباعه على السَّفر إلى مكة أو أفريقيا» (۱).

رابعاً: مقتله والمؤامرة العالميَّة

شهدت الأشهر السابقة لاغتيال الحاج مالك حرباً شعواء معلنة عليه من جبهات مختلفة، مثل مكتب CIA ، ومكتب. FBI واتَّهمته الحركات القوميَّة للسُّود بالانحراف عن قضيَّة السُّود نحو «العرب» وغيرهم. وكانت صحيفة Muhammad Speaks لجماعة (أُمَّة الإسلام) تنال منه، وتلصق به التهم، وتصفه بالنفاق والارتداد، ولقى كذلك أتباعه حظَّهم من المضايقات والاستفزازات، وضروب التَّخويف؛ فضُرب أحدهم ضرباً مبرحاً لقى على إثره حتفه، واضرِمت النَّار فى منْزل مالكولم قبل مقتله بأسبوع، كاد هو أسرته يهلك حرقاً لولا أنَّ الله سلَّم. وبلغت أعمال التَّرهيب مبلغها حتى أن

۱- DeCaro ,On the Side of my People ,P ۲۶۷

ص: ۲۲۷

مالک کان علی أهبة للتصريح بأسماء الأشخاص الموکّلين باغتياله.

کما أنه قد عرف فی تلک الفترة أصعب التّجارب وأمرّها فی تحوُّل الأصدقاء، وتخاذل الصِّحاب، وظلم ذوی القربی حتی أن شقيقَه «فلبير» الذی تنکَّر له، ووقف فی صفِّ إليجا محمد، ألحق به التهم ووصفَه بالهوس ومرض اضطراب النَّفس الذی أودی بأمِّهم (۱). ومن صُور المضايقات والتَّحريض والتآمر العالمی ضدَّ مالک منعه من دخول فرنسا بأيام قبل مقتله حين تقدَّم لزيارتها ولإلقاء کلمته فی مؤتمر الطُّلاب الأفارقة، وکان هذا المنع بطلب من الولايات المتحدة، والسنغال، وساحل العاج (۲). ولا أدلَّ علی فداحة تنکُّر الأقارب والأصحاب له من موقف شقيقه المذکور آنفاً المعادی له، حتی حين قُتِل لم يشيِّع جنازته؛ لأنَّه- حسب وصفه- مات ميتة ضالة (۳).

۱- Goldman, The Death and Life Of Malcolm X, P ۲۳۲

۲- Ibid ,P ۳۳۱

۳- Clifton E. Marsh, From Black Muslims to Muslims, P ۶۷.

ص: ۲۲۸

وهكذا جاءه أجله المحتوم فى اجتماع

OAAU

المفتوح ظهيرة الأحد ۲۱ فبراير عام ۱۹۶۵، وكانت كلُّ الإرهاصات فى ذلك اليوم تصرخ باقتراب خطر داهم، وأنَّ بالمكان ضغائن شر تتأجَّج حقداً ونارا، وتتأبَّط شراً، وبفراسته الصادقة شعر مالك بما بيَّته القوم له، وصرَّح لأصحابه فى صالة الانتظار عن تخوُّفه وتوجُّسه .. «إنّنى لا أشعر بارتياح نحو هذا الاجتماع، أشعر أنه ليس بالأجدر أن أكون هنا. إنَّ أمراً غريباً يحدث هنا يا إخوانى!» وكان من المفارقة أن يختم المقدِّم حديثه قائلًا: «إخوانى، إننى أقدِّم إليكم رجلًا ما كان ليبخل بحياته من أجلكم». ويتقدَّم مالك إلى المنصَّة، ويلقى السلام على الحضور، ولا يكاد الحضور يردُّ تحيَّته حتى يعلو فى مؤخرة الصالة هرجٌ وشجار، وحين تنصرف الأنظار إلى الضَّوضاء، يثب ثلاثة إلى المنصة وثبة أشقى قوم صالح؛ فيحاول مالك تهدئتهم .. «أيُّها الإخوة اهدأوا!» فتنطلق رصاصاتٌ إليه ... هذا، وإذا تضاربت الأقوال والتَّصريحات حول هويَّة قاتليه، فإنَّ مما لا شكَّ فيه

ص: ۲۲۹

أنه كـان ضـحيَّة فكره ومنهجه الجديـد، وينبغى علينـا التركيز على هـذا الجانب حتى نقـدِّره حقَّ قـدره، ولا يشـغلنا البحث الحثيث عن أولئك المجرمين عن تـدبُّر فكره، ودعم ذلك والإبقاء عليه مشـتعلًا منيراً بإذن الله. وقـد ألمـح مالك إلى هـذا الواجب فى حقِّ دعوته بقوله: «ينبغى أن تـدركوا أنّ ما أقوم به جـدُّ خطير، لأنَّه تهديـد مباشـرٌ للنظام العنصـرىِّ الـدُّولى بأجمعه، لأنّه تعريـةٌ للتفرقـة بأشـكالها الدوليَّة، وعليه، فإنِّى إن أمُتْ أو أقتَل؛ فاطمئنُّوا أن ما حرَّكته لن يتوقَّف أبداً» (۱).

إذن، لم يكن بخاف على الحاج مالك مغبَّة ما يقوم به، ووعورَة الطّريق الجديـد الذى سـلَكه، فقد علَّمه التاريخ أنَّه ما أتى رجلٌ بمثل ما أتى به، وما قصـدَ قاصـدٌ مثل غايته، إلّا وتكالبت عليه أيـدى المكر، وطواغيت القهر والاسـتعباد، إنَّ الحاج مالك- بكلِّ بساطة- لم يعُد ذلك السِّمسار فى شوارع هارلم، ولم يعد ذلك

۱- Eugene V. Wolfenstein, The Victims of Democracy: Malcolm X, P ۳۲۸.

ص: ۲۳۰

المسلم الأسوَد المطبِّل ل- «نبى» مهوَّس، والذى تلتفُّ حوله أمَّة من بُسطاء النَّاس أو متعصِّبيهم ممَّن تحركهم العواطف العرقيَّة وممَّن يعيشون على أفيون الترَّهات، وينتظرون إلَاهَهُم «فارد» الهالک/ المختفى أن يأتيهم ويهلک عدوَّهم الأبيض، ويضع مملکة السُّود، ويجعل الأرض جنة لهم ... ولکنَّه أصبح ذلک المنذر الرَّشيد، المنبذ للتعصُّب، المعلِّق مصير قومه وتحريرهم بتحرير المغلوبين- جميعهم- على الأرض بصرف النَّظر عن ألوانهم وأشکالهم وأديانهم.

وإن کان مالک تنبَّأ بمصيره، فإنَّه قد کشف لنا بعض تفاصيل المکر المحاک ضدَّه، فقد أدرک بقراءته لسنن الصِّدام بين الحق والباطل، ومشاهدات التآمر أن أحزاب المکر فى الخفاء جهاز معقَّد، وجيشٌ لوبىٌّ من شخصيات، وأحزاب وحکومات مختلفة کلُّها تستفيد من القضاء عليه، ولکن الذى يعلِّق الجرس ويجهز على الفريسة، ما هو إلّا أضعف تلک الأحزاب، وربَّما أقلُّها انتفاعاً فى هذه الصَّفقة الآثمة. وبالجملة،

ص: ۲۳۱

أدرك (مالـك) أنَّه لن يقوم بالحلقـة الأخيرة فى هـذه المؤامرة إلّا أقرب الناس إليه- ويا للمفارقـة- أولئك الـذين تحمَّل المخاطر من أجلهم، وأعلن الحرب من أجل خلاصهم من براثن الظلم والاستغلال. قال ذلك لمحدِّثه «جوليان

Julian Mayfield

» زعيم حركـة الأفرو- الأمريكيَّة فى أكرا (غانا) حين سأله ذاك عن «الأيـدى الخفيَّة» فأجاب أنَّه إذا ما وقع له أىُّ شـىء فلا يظنَّن أحدٌ أنَّ ذلك بالضَّرورة من المسلمين السُّود وحدَهم، فهى مؤامرة عالميَّة، طالما أنَّه قد «عَوْلم» القضيَّة الأفرو- الأمريكيَّة.

تجارب مهمَّة فى حياة الحاج مالك شباز وقانون المثير والاستجابة

لعلَّ قراءة نفسيَّة لسيرة حياة مالك وشـخصه، وتطبيق قانون «المثير والاسـتجابة» على المواقف الحياتيـة التى مرَّ بها مالك، يوقفنا على رهافة طبع مالك، وحدَّة شعوره لتلك المواقف، وبالتالى اتِّخاذه موقفاً محدَّداً صارماً تجاه كلِّ تجربة. وعلى ضوء هذا المفهوم، فإنَّنا

ص: ۲۳۲

نقف عنـد بعض تجارب مالك باعتبارها صدمات نفسيَّة خضع لها مالك، واتَّخذ موقفاً محدَّداً منها، فأثَّر هذا الموقف فى حياته تأثيراً ملحوظـاً. ولعـلَّ اولى تلـك الصـدمات المثيرة حرق البيض العنصـريِّين منزل عائلـة مـالكولم، وقتلهم لوالـده، يلى ذلـك سـخرية معلم المدرسـة منه، وفضـيحة إليجـا الجنسـيَّة، ومفاجأته فى مكـة بكَرم الضِّيافـة العربيَّة، وبروح التوادد والإخاء والمساواة بين السُّود والبيض وجميع الألوان ... ولنا وقفة عند الأخيرَتين.

أولًا: فضيحة إليجا الجنسيَّة

كانت صدمة الفساد الخلقيِّ الذى كشفت عنه صحيفة UPIوعن علاقة إليجا محمد الجنسيَّة غير الشرعيَّة باثنَتين من سكرتيراته، أعنفَ الصَّدمـات التى هزَّت نفس (مـالكولم) وطبعت بصـمتها على حيـاته وتصـرُّفه ونظرته إلى «الإنسان» فيما بقى من عمره. ولثقـة مالكولم البالغة بأستاذه و «نبيِّه» إليجا محمد، فإنَّ (مالكولم) ما كان ليطمئنَّ إلى حرف من

ص: ۲۳۳

التحقيق الصحفى فى حقِّ أستاذه، غير أن طبيعته المتعطّشة إلى سبر الأمور، ومواجهة الحقائق، وقطع الشَّك باليقين ألجأته إلى مساءلة البِنتَين عن علاقاتهما بإليجا؛ فأكَّدتا له الخبر، وأنَّ كلًا منهما قد أنجبت منه طفلًا، وكانت قوَّة الصدمة عنيفةً، والفضيحة كبيرةً لأن يغضى عنها مالكولم، فهرع- عبثاً- إلى القرآن الكريم وإلى الإنجيل علَّه يجد فيهما مبرِّراً لفعلة أستاذه وقائده الروحى الشَّنعاء، فكان (مالكولم) مثل الغريق الذى يتشبَّث بأىِّ جسم متحرِّك ... وطبعاً، لم يسَعه إلَّا السفر إلى شيكاغو ومساءلة الأستاذ .. وبكلِّ ثقة اعترف الأستاذ بفعلته بل برَّرها بالاستشهاد بقصص الكتاب المقدَّس المفتراة على أنبياء الله المعصومين، قال: «إنَّنى أنا داود، فحين تقرأ عن أخذ داود حليلةَ غيره، فأنا ذاك داود، وإذا قرأتَ عن نوح الذى سكرِ فهو أنا، وإذا قرأتَ عن لوط ذاك الذى ضاجع ابنته مِن صُلبه، فقد اكتمل فى جميع تلك الصفات (!!!)» (۱).

۱- Malcolm X ,Autobography ,P ۲۹۹

ص: ۲۳۴

وبهذا الافتراء، كان إليجا يريد أن يوغل فى تدجُّله وتضليله لمريده المخلص، ويسجِّل لنفسه مكسباً جديداً، ويبنى حول نفسه هالةً أخرى من المناعة والقداسة، ولكنَّ الجرح فى قلب المريد كان عميقاً، مستعصياً على الاندمال، وكانت الصدمة عنيفة لبعثه من موتة الانقياد العمياء لقائده.

ثانياً: صدمة الجهل بأساسيَّات العبادة

لعلَّ أعنفَ صدمة أشعرت الحاج مالك بالحيرة والخجل من نفسه منذ أن حطَّ رحالَه فى الأراضى المقدَّسة إدراكُه مدى جهله بأساسيَّات الدين الإسلامى وأوَّلياته، وفى زيارته لهذه الأماكن دروس وعبر يجمُل بنا قراءتها وتمثُّلها فى وقفاتها فى تلك المشاعر المقدَّسة.

ومن تلك المواقف التى وقفها واستنبط دروساً إيمانيَّة فيها المواقف الآتية:

۱- مكة المكرمة والشُّعور بالكرامة

كان نزول الحاج مالك شباز بمكة المكرَّمة، نقطة تحوُّل فى نظره إلى نفسه

ص: ۲۳۵

وتقـديره حقَّ قـدره، تقـديراً ليس منشـأهُ الصَّلت والكبر، ولكنه تقـديرٌ مظلَّل بجلالـ عظمـة الخـالق الجبَّار. وإذا جـاز أن نسـتعير مَثَلهم السـاخر «كَلب الملك، سيِّد الكلاب»، فإنَّ إجراءه على العبـد المسـلم الـذى يستشـعر أنه عبـدُ ملك الملوك، يفضـى به- حتماً- إلى الشُّعور بأنه «سيِّد العباد»، وأنه واقفٌ ببقعة هى «مكرَّمة» من لدُن ذى الجلال والإكرام ... يقول مالك: «طوالَ سِنِىَّ التِّسع والثَّلاثين على هذه الأرض، كانت مدينة مكة المقدَّسة أوَّل بقعة وقفت فيها أمام خالق كلِّ شىء، مستشعراً بأننى إنسان كامل».

وهكـذا رجحت تجارب ساعات معـدودة، ورجحت مشاعر بقاع قليلـة العـدد على تجارب أزمنـة وأمكنة غير محصورة، وتواطأ المكانُ والزمـان على تغيير نظرة الحـاج مالـك عن نفسه؛ لأنَّه- طوالَ تسع وثلاثين حجـج- كان ينظر إلى نفسه من خلال معادلـة (رجل أسوَد رجـل أبيض)، وكانت الغلبـة الحتميَّة دائماً للقطب الأبيض، مما جمَّع فى نفس (مالكولم) مركَّبات نقص ومعاداة لهـذا الأبيض. أما فى هذا الموقف

ص: ۲۳۶

الخالى من تلك المعادلة، فقد شعر بالكرامة، ووازن نفسَه بنفسِه ومن خلالِ عظمة الرَّب الذى خلقه.

۲- عرفات (موت النبى الأسوَد والشيطان الأبيض)

كانت عرفات والوقوف بها المسرحَ الفعلىَّ الذى ساعد الحاج مالك شباز على مراجعة حقَّة لماضيه، ودفعه إلى تعديل جذرىٍّ لرؤيته وإدراكه لحقيقة العالميَّة الإسلاميَّة، ومحو شائبة الألوان والأعراق. وبتماحى الألوان، فإنَّ العالم قد ظهر على حقيقته أمام مالك، وظهر الرجال مجرَّدين عن الأصباغ الملوَّنة .. يقول: «فى مكَّة، استذكرتُ السنوات الإثنى عشرة التى قضيتُها مع إليجا محمد، كأنها تمرُّ أمامى بحركة بطيئة، وأظنُّ أنه ليس بمقدور أىِّ إنسان إدراكُ عمق ثقتى الكاملة فى شخص إليجا محمد .. ولكنَّنى من عَلى أقدَس بقعة فى الدُّنيا، أدركتُ مدى خطورة إيلاءِ مثل هذا الاعتبار لإنسان، خاصَّة اعتقاد تلقِّيه نوعاً من الوحى الإلهى، أو إعطاؤه

ص: ۲۳۷

نوعاً من العصمة» (۱).

يکشف لنا هـذا التصـريح عمق الرابطـة بين الحاج مالک وقائـدِه الأول، وعلى الرغم من انفصال (مالک) عن حرکـة إليجا، فإنَّ مکانةَ هذا الرَّجل کانت عميقة الجذورِ فى نفسِه؛ إذ إنَّ (مالک) کان قد أسـلم نفسه إليه طوعاً، وانقاد له مثل «ميت بين يدَى غاسله»، أو کما يقول مالک نفسه: «کنت قد صدَّقته وآمنت به أکثر مما يصدِّق هو نفسَه». وما کان ليجتثَّ تلک العروق العميقة من أصولها إلّا موقفٌ إيمانيٌّ عنيف کهـذا، موقفٌ بين يـدَى ربِّ العالَمين. يقول (مالک): «أشـعر کأننى مثل رجل ظلَّ مُنوَّماً- بطريقـة مَّا- تحت تأثير إنسان آخر. أشـعر أنَّ ما أقوله الآن، وما أشعر به الآن أنه نابعٌ من نفسى، ومن قبلُ، کان فکرى وکلامى کلُّه من وحى إليجا محمد. إننى الآن أفکِّر بعقلى الخاص» (۲). وبهذه الکلمات يعلن (مالک) عن يقظة ووجود جديد لنفسه،

۱- Malcolm X ,Autobiography ,P ۲۹۹

۲- Breitman ,Malcolm X Speaks ,P ۶۸

ص: ۲۳۸

کما يعلن- إعلاناً خطيراً- عن موت «الإله/ النبى الأسوَد»؛ فما دام الحاج (مالک) قد وقف شامخاً فوق أعلى قمَّة مبارکة فى الأرض المقدَّسة، وعَرف- لأول مرَّة- نفسه کإنسان مکرَّم، فقد تضاءل أمام عينيه کلُّ مخلوق حاشا الملک الجبار، وبطُل لديه سحرُ کلِّ «مُنوِّم مغناطيسى». إنَّ جاهليات الفکر والاعتقاد، وادِّعاء العصمة والنُّبوة لإليجا، موضوعةٌ تحت قدَمىْ الحاج (مالک) اليقظ، الرّافض لتلقِّى الأوامر على الرِّيموت. أو منْ کانَ ميْتاً فأحيَيناهُ وجعلنَا له نوراً يمشى به فى الناس ....

ومن الطريف أنَّ هذه القاعدة فى تجرُّد الناس عن ألوانهم، قد طالت الحاج مالک نفسه، وقد وصفت زوجته «بيتِى شباز» هذه الحقيقة بقولها: «مضى إلى مکَّة وهو مسلمٌ أسوَد، وأصبح هنالک مسلماً فحسب» (۱)، فکأنَّ مالک انسلخ من لونه کما تنسلخ الحيَّة من جلدها، أو أنَّه بحمله للقلب (الحاج)، سقط عنه قناع

۱- Clifton E. Harsh, From Black Muslims to Muslims, P ۶۱.

ص: ۲۳۹

«الأسوَد» لأنَّ الحجَّ انفتاحٌ على العالَم، انفتاحٌ لایستقیم والانغلاقَ الانغلاق فی لبوس من العنصریَّة والطائفیَّة والکره للآخرین. هذا، وقد اعترف مالک بأنه کان منغلقاً فی لبوس اللَّون قبل سفره إلی الحج، حین کشف عن سرِّ عدم سفره إلی بلاد الکاریبی طوال سنوات عمله تحت قائده إلیجا؛ لأنه کان «مسلماً أسوَدَ، وفی حرکة المسلمین السُّود».

۳- الحج والوعی الوحدویُّ بین البشر

من نافلة القول الإشارة إلی أنَّ أهمَّ درس تعلَّمه الحاج مالک فی رحلة الحج وفی أداء شعائره هو الوعی بضرورة وحدة البشر لا وحدة المسلمین فحسب، وتعلَّم-

ص: ۲۴۰

فوق ذلک- بعض الإجراءات العمليَّة لتحقيق تلک الوحدة وخصائصها.

ومن تلک الإجراءات:

أ- إنَّ من لزوميات تحقيق الوحدة العالميَّة الإيمان بوحدة الخالق سبحانه، واعتماداً على ذلک فقد دعا مالک أمريکا إلى القَبول العاجل لعقيدة وحدانيَّة الخالق (

The immediate acceptance of the oneness of God)

، وأکَّد أنَّ ذلک هو الخيار الأوْحد أمام أمريکا للخروج من مأزق العنصريَّة، والنَّجاة من الانهيار المحدق بها.

ب- إنَّ الوحدة العالميَّة تنبنى على أساس من الوحدة المحليَّة سواء أکانت وحدة إقليميَّة أو عرقيَّة أو دينيَّة. تعلَّم مالک ذلک حين لاحظ أنَّ الحجاج- على الرغم من تماحى الفوارق بينهم- يجتمعون أفواجاً أفواجاً، حيث الأفارقة مع الأفارقة، والباکستانيُّون مع الباکستانيِّين ... تجمعهم أخوَّة صادقة. کان التطبيق المباشر لهذا المفهوم حين أسَّس مالکولم جماعته الجديدة، وأکَّد فى

ص: ۲۴۱

دستورها أنَّ وحدة السُّود والبيض لابدَّ أن تنطلق- أوَّلًا- من وحدة السُّود أنفسهم (۱).

ملامح مميزة لشخصيَّة مالک وتأثيره الفکرى فى الشباب

أولًا: الملامح المميزة لشخصيّته ودعوته

فى ختام هذا العرض عن حياة مالک شباز، يجمل بنا طرحُ سؤال ومحاولة الإجابة عليه: تُرى ما الملامح المميزة لشخصيَّة مالک شباز، وما الآثار الإيجابيَّة، والمکاسب الدعويَّة التى اضطلعت بها رحلة الحجِّ فى حرکة الحاج مالک؟ ولا شکَّ أنَّ الإجابة على تلک الأسئلة تستدعى الإطالة والاستقصاء، غير أننا نحاول الاختصار بسردِ أهمِّ تلک المميزات کما يلى:

۱- إنَّه تميَّز بالرُّوح الحرکيَّة، والبعد عن الأيديولوجيات التى ليس وراءها عملٌ، فکلَّما تعلَّم شيئاً انطلق مباشرةً إلى تنفيذه، وإخراجه فى حيز الواقع، ولعلَّه

۱- DeCaro ,On the Side of my people ,P ۲۱۶

ص: ۲۴۲

قـد تشـرَّب تلك الرُّوح منـذ نعومـة أظفاره من طبيعة الحركة الغارفيَّة التى كان والده داعيتها ورئيس تجمُّعها فى مدينة «أومَاهَا». ويعدُّ هـذا الجانب أحـد الأسـباب الأساسـيَّة فى انسـلاخ مالك عن حركة أسـتاذه إليجا؛ إذ رأى أنَّ أسـتاذه يجمع الناس حول فضـفاض من الفكر، ويسـوقهم إلى هـدف غير ملمـوس، فـدعا مالـك إلى ربـط الـدِّين بالحيـاة، وتفعيله فى حيـاة النـاس: فى الاجتمـاع، والسِّياسـة، والاقتصاد، وقد صرَّح بهذه النظرة فى حديث له بمعهد

Tuskegee

بعد انفصاله عن (أمَّة الإسـلام) بقوله: «إذا كان إليجا يجلس وينتظر، فإننى لا أجلس وأنتظر الله أن يأتى (يُعرِّض بفارد محمد المنتظر). إنَّنى أؤمن بالدِّين، ولكن أؤمن بدين يشـمل الحركة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، تلك الجوانب التى من شأنها بناء جنَّة هنا على الأرض ريثما ننتظر الجنة الأخرويَّة» (۱).

۲- إنَّ مالك قد مثَّل بحياته الأمل للضائعين فى الهداية والصَّلاح، وأن الصعود

۱- Ibid ,P ۲۶۹

ص: ۲۴۳

من الحضيض الخُلقيّ، إلى قمة المثُل العليا ممكن وليس من المستحيلات. بل إنَّ (مالك) يؤكِّد بأنَّ التغيير يكون أظهر، وأكبر وقعاً فى الإنسان الذى كان فى الدَّرك الأسفل من التردّى والانحطاط .. «لا يمكن أن يحدث تحوُّل كليٌّ لأحد أكثر من الذى كان أكثر فساداً. إننى أسمِّى نفسى أفضلَ مثال لذلك.» ولا شك أن معادلة «التَّطهير» قد بلغت أعلى مؤشراتها وأصفاها بعد حجِّه، كما أشار إلى ذلك فى أكثر من مناسبة. فالحجُّ يجبُّ ما قبله.

۳- إنَّه كان أنموذج التَّقارب بين المسلمين والمسيحيِّين السود فى أمريكا، خاصَّة فى المرحلة الأخيرة من حياته، وذلك بنضاله ضدَّ العنصريَّة، واستعلاء الرجل الأبيض، ومن أجل ذلك أمكن لكثير من الجماعات المختلفة ادِّعاء أحقِّيتها (بمالك)، وربطت علاقات نَسَبها الفكريَّة والأيديولوجيَّة بأفكاره.

۴- إنَّه تميَّز بروح النَّقد الذاتى،

ص: ۲۴۴

والاـعتراف بالخطـأ، ومحاولـة تصـحيحه عاجلًا، حتى أنَّ بعض المتحاملين عليه وصـفوه بتغيير مبادئه ومواقفه طبقاً للظروف، ورغبـةً فى اكتساب المؤيِّدين (۱) .. ولا شكَّ أنه تحامُل مغرضٌ خاصَّة إيرادُه فى سياق رجوع الحاج مالك عن نظرته العنصريَّة ضدَّ البيض بعد رجوعه من الحج.

۵- ومن المكاسب الدعويَّة فى أثر رحلة الحج فى فكر الحاج مالك وفى حركته، تقويته لجناح الحركات الإسلاميَّة السُّنيَّة فى أمريكا، والتى كانت جماعـة (أمَّة الإسـلام) المنحرفـة قـد طغت على وجودها، وحجبت صورتها عن البروز على السـطح الإسـلاميِّ فى الوسـط الأمريكى، مثل جماعة دار الإسلام، وجماعة الأخوة الإسلاميَّة

Islamic Brotherhood Inc.

، وجماعة Party Islamicوكان ذلك سبباً لتأسيس بعض الحركات الإسلاميَّة صحيحة المنهج (۲).

۱- Houston A. Baker Jr, The Black Public Sphere, P ۴۴.

۲- جماعة دار الإسلام أسسها مجموعة من الشباب المسلمين فى بروكلين عام ۱۹۶۲، وكان أول إمام لها هو يحيى عبدالكريم.

- مسجد الأخوة الإسلاميَّةMIB أسـسه الشيخ خالد أحمد توفيق فى هارلم عام۱۹۶۷ ، وهو ممن أسـلم على يدى مالك شباز، ودرس بالأزهر الشريف، والتزم بالمنهج الإسلامى الصحيح. توفى۱۹۸۸ .

-Islamic Party : أسست عام۱۹۶۷ على يد مظفر الدين حامد بواشنطن العاصمة، أسلم على يدى الحاج مالك شباز بعد انفصاله عن أمة الإسلام. وسافر إلى البلاد العربية والإسلامية. تأثر بدعوة الشهيد حسن البنا، والشيخ المودودى.

ص: ۲۴۵

۶- حمله صورةً أنموذجيَّةً طيّبةً للإسلام فى الوسط الأمريكى خاصَّةً، والعالمى عامَّةً، وذلك بدعوته إلى السَّلام العالمى بين الأديان، والأجناس، وتصحيحه لصورة الإسلام المشوَّهة لدى الغرب فى الإعلام، وفى ممارسة بعض الحركات الإسلاميَّة المنحرفة، وقد كان الحاج مالك- مِن قَبلُ- أحدَ الممثِّلين الكبار فى هذه الحملة التشويهيَّة للإسلام فى المخيلة الأمريكيَّة بفعل تعاليم قائده إليجا المغلوطة، غير أنه وُفِّق فى إتباع السيِّئة الحسنة إن شاء الله.

۷- إنَّه أعاد الأمل والثِّقة إلى المسلمين المهاجرين من الدُّول العربيَّة والدُّول الإسلاميَّة فى الشرق الأوسط وآسيا، وطلبة الجامعات المسلمين؛ فالتفَّ حوله بعضهم قبل مقتله، كما أسَّسوا منظمات إسلاميَّة بعد مماته لدعوة الأمريكيِّين، وتصحيح العطب الذى أحدثته جماعاتٌ منحرفة باسم الإسلام.

ص: ۲۴۶

۸- كونُه «جرس التَّنبيه» الـذى أيقظ فى صفِّ جماعة «أمَّة الإسـلام الوعى لمراجعة فلسـفتها وعقيدتها الإسـلاميَّة. ولعل ذلك ما سـهَّل لخَلِف إليجا محمد ابنِه وارث الدِّين محمد حملته التصحيحيَّة لعقيدة الجماعة وممارساتها.

ثانياً: تأثير الحاج مالك شباز الأيديولوجى

إنَّ أول مظهر من مظاهر تأثير الحاج مالك- محلياً وعالمياً- يمكن أن يُلمَس فى الصـبغة الحركيَّة الواضـحة فى حياته، حيث لم يترك مدوَّنات فكريَّة، وإنما كان كلُّ حياته تطبيقاً عملياً حياً لفكرته. وعلى الرَّغم من انفصاله عن جماعة (أمة الإسـلام) قبل وفاته، وتأسيسـه لتنظيم خـاص، فـإنَّ تـأثير مالـك على الأـفراد والجماعـات الـدينيَّة والسياسـيَّة ظلَّ واضـح المعالم فى تفكير أولئك الأفراد وسـياسات الجماعات.

وإذا كان (مالك) قد لقى إعراضاً من بعض الجماعات القوميَّة بين السود، بسبب دعوته الإسلاميَّة، أو بدعوته إلى التعايش

ص: ۲۴۷

السِّلمى بين السُّود والبيض، أو الجماعات الإسلاميَّة لسبب أو لآخر .. فإن مقتله كان سبباً لتعيد تلك الجماعات نظرتها فى دعوة مالك، وتقيِّم أيديولوجيَّته فى ضوء الأسباب الغامضة فى اغتياله، وفى هويَّة قاتليه. وقد أدَّى ذلك بأولئك إلى ترديد شعارات مالك فى المناداة بالتحرير الأفريقىِّ، والشُّعور بالكرامة، والاعتزاز بالذَّات. ومن الحركات الجديرة بالذّكر فى هذا الصَّدد، منظمة الكونجرس للمساواة العرقيَّة (

CORE)

، واللجنة التَّنسيقيَّة السلمية للطلبة (SNCC)، فقد تبنت هاتان الجماعتان دعوة مالك إلى الاعتزاز العرقى، وبناء السُّود لمؤسَّساتهم الخاصَّة، وتشكيلهم قوَّة دفاعيَّة لأنفسهم.

ومن العوامل المباشرة فى تأثير أفكار مالك فى الجيل اللاحق نشر سيرة حياته عام ((۱۹۶۹ التى كتبها مع الكاتب المشهور أليكس هالى، صاحب رواية «الجذور»؛ فأصبح هذا الكتاب من أكثر الكتب رواجاً، كما أصبح «دستوراً» فكرياً لحزب «النَّمر الأسوَد Black Panther » المؤسَّس عام

ص: ۲۴۸

۱۹۶۶

، لتأكيد إمكانيَّة تحويل المجرمين السابقين إلى مصلحين اجتماعيِّين، وثوريِّين مثاليِّين. ونُشِرت كذلك خُطبُه ومحادثاته الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة التى غدت مجال دراسات كثيرة، والتى وجَّهت المسار الفكرى الحركىَّ لمعظم التجمُّعات الشبابيَّة. وبحلول حقبة الثمانينيات، وضمور معظم الحركات القوميَّة بين الأمريكيين السُّود، وتخفيف حدَّة المطالبة بحقوق السُّود، والدعوات الاستقلاليَّة التى نجحت هنا وهناك فى أفريقيا وفى غيرها، فإنَّ «شبح» مالك ما زال مستعصياً على المحو والنسيان. بزغ من جديد فى الفِرق الغنائيَّة لموسيقى الرُّوب، وفى أروقة الجامعات والمعاهد، خاصَّة حين يطرأ بعض المشاحنات بين السُّود والشُّرطة البيض؛ وتطفو المشكلة العرقيَّة والعنصريَّة، فيهرع الشّباب إلى شعارات مالك وأقواله المأثورة، بوصفها أسلحةً فكريَّة يغرون بها السلطات الحكوميَّة، ويهاجمون بها معارضيهم، مما يدلُّ على أنَّ أفكار مالك ومُثُل حياته القصيرة، ما زالت جزءاً

ص: ۲۴۹

أساسياً فى النّسيج الأيديولوجى للشباب، وما زال سلاحاً ماضياً يلوِّحون به فى وجه الخصوم؛ لتأكيد الذّات، وكسب المعارك.

وقد بلغ الحماس (الشكلى غير الواعى) لمالك شباز ذروته فى أواخر الثمانينيات والتِّسعينيات حين أصدر الهوليود فيلماً سينمائياً عن حياته ((۱۹۹۲ بإخراج Spike Lee، فأفرز ذلك جيلًا من الشباب المتحمِّسة لمالك، أطلق عليه بعضهم مسمَّى «الهوس المالكومى Malcolmania » أو جيل «X» الذى يتكالب على كلِّ بضاعة تحمل رمز «X» أو اسم مالكولم أو صورته، من قبّعات، وقمصان، ونظارات شمسيَّة، وساعات، ويحرص على المظاهر الشكليَّة المميزة لمالك، مثل طريقة تصفيفه لشعره، وعادته فى الجلوس أو الوقوف لإلقاء الخطب ... تُرى أيكون ذلك صرفاً للشَّباب عن فكر مالك كما كان وضعُ صورته على طوابع بريديَّة عام ۱۹۹۷ م، فى رأى بعض المسلمين، صرفاً للمطالبين بالكشف عن تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI)، عن مالك

ص: ۲۵۰

وملابسات اغتياله (۱)؟

ملاحظة ختاميَّة

بقى أن نولى أمراً بالغ الأهميَّة ألا ـ وهو حسن الوفادة والرِّفادة التى عُرِف بها أهل مكة، وشعب الحرَمين الشَّريفين، وأثرها البالغ فى تفهُّم (مالك) لمفهوم الأخوَّة الإسلاميَّة، فلولا حسن الضِّيافة والحفاوة البالغة التى شُدِهَ بها الحاج مالك شباز منذ أن وطئت قدماه الأراضى المقدَّسة لما التفت مالك إلى ما تلاها من المظاهر الأخرى، كلُّ ذلك قد كان الزِّناد الذى أشعل فى نفس مالك التَّيقُظ لتقدير جميع مظاهر الأخوَّة الإسلاميَّة، والمساواة بين المؤمنين بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم. وقد أكَّد مالك فى سيرة حياته على تلك الجوانب، واعترف بالجميل.

رسالة من مكّة

نظراً لأهميَّة الرِّسالة التى بعث بها الحاج

۱- ينظر مناقشة جادة لهذه القضية فى كتاب: Clayborne Carson ,Malcolm X :The FBI .files

ص: ۲۵۱

مالك شباز من مكة إلى أصحابه فى الولايات المتحدة، فقد أحببنا ترجمتها كاملةً؛ حتى تنطق بنفسها عن نفسها، وتجلى الأثر الإيمانىَّ والرُّؤية الإنسانيَّة التى أحدثته تلك الرِّحلة، والتَّجارب المعدودة فى حياة مالك.

إن أوَّل ما يستلفتنا فى هذا الخطاب عنوانه حيث اختفى اسم الكاتب من العنوان، فلم يقل مثلًا: رسالة من الحاج مالك فى مكة .. ولعلَّ توارى الكاتب فى العنوان إيماءةٌ لطيفة- ولو بأسلوب غير شعورىٍّ- أنَّ ما يكتبه أكبر من أن ينسبه إلى نفسه، وإنَّما هو من وحى مكَّة، وأنَّ حقائق الحياة هى التى أملت على الكاتب هذا الخطاب.

يقول:

«إنَّنى لم أشهد- فى أرض- مثل هذه الضِّيافة الصادقة، والاحتفاء البالغ الممزوج بالأخوَّة الحقَّة مثلما هو مطبَّق بين الناس من جميع الألوان والأجناس فى هذه الأرض المقدّسة بلدِ إبراهيم، ومحمد وجميع الرُّسل (عليهم السلام). لقد غدوت منذ الأسبوع الماضى، أخرَس أمام صُور الكرامة

ص: ۲۵۲

المحاطة بى من قِبَل أناس من كلِّ لون.

لقد أكرمنى الله بزيارة بلدة مكَّة المقدسة؛ فطفتُ الأشواط السَّبعة حول الكعبة بقيادة الشاب المطوف محمد، وشربتُ من ماء زمزم، وسعيتُ سبع مرات بين الصَّفا والمروة، وصليت فى بلدة منى القديمة، ودعوتُ الله على جبل عرفات.

كان هناك عشرات الآلاف من الحجاج من كلِّ أرجاء العالَم، كانوا من جميع الألوان: من ذوى العيون الزَّرقاء إلى ذوى البشرة السَّوداء الأفارقة، لكنَّهم كانوا يؤدُّون شعيرةً واحدةً مظهرين روح الوحدة والأخوة التى لم أعهدها فى أمريكا. وقد كانت خبرتى فى أمريكا قد قادتنى- خطأً- إلى الاعتقاد أنَّ مثل هذه الرُّوح الأخويّة مستحيلة التحقُّق بين الأبيض وغير الأبيض.

وعليه، فإنَّ أمريكا بحاجة إلى فهم الإسلام؛ لأنَّه الدين الوحيد الذى يمحو من المجتمع الأمريكى المشكلة القوميَّة، فمن خلال أسفارى فى العالَم الإسلامى، جالستُ وحادَثت، بل آكلتُ أناساً لو كانوا فى أمريكا لعُدُّوا من البيض، لكنَّ تصرُّف

ص: ۲۵۳

«الأبيض» قد انتُزِع من قلوبهم بفعل الإسلام. إنَّنى لم أشهدْ مثل هذه من قبل الأخوَّة الصادقة والحقَّة حاضرةً يطبِّقها الجميع دون اعتبار للَون.

ولعلَّكم تُصدَمون بتلك الكلمات منِّى، لكن الذى شاهدتُ فى هذه الحِجَّة قد أرغمنى على إعادة ترتيب قواعد تفكيرى السَّابقة، وعلى نبذ بعض استنتاجاتى القديمة، وبالطَّبع، فإن ذلك لم يكن صعباً على. وعلاوةً على عزيمتى الصّادقة، فإنَّنى ظلِلتُ دوماً رجلًا يواجه الحقائق، ويقبل الواقع الحياتىَّ بوصفه خبرةً ومعرفة جديدة.

خلال الأيام الأحدَ عشر السَّابقة فى العالَم الإسلامى شاطرتُ إخوانى المسلمين الأكل من آنية واحدة، والشُّرب من كوب واحد، والنَّوم معهم على فَرش واحد، ممَّن هم من ذوى العيون الأشدَّ زرقاً، والشُّعور الأشد شقراً، والبشرة الأنصع بياضاً. ومن خلال كلام «البيض» وتصرُّفاتهم، شعرتُ بالإخلاص نفسِه الذى شعرتُ به بين المسلمين الأفارقة فى نيجيريا والسُّودان وغانا.

حقاً، لقد كنا إخوةً؛ لأنَّ إيمانهم بإله

ص: ۲۵۴

واحد قد نزع من قلوبهم «الأبيض»، ونزع «الأبيض» من تصرُّفاتهم، كما نزع «الأبيض» من أفكارهم. وقد تبيَّن لى من ذلك أنَّ الأمريكيِّين البيض إذا كان بإمكانهم قبول وحدانيَّة الله، فمن الأجدر- بطبيعة الحال- قبول وحدة الجنس البشرىِّ، وترك تقييم الناس، على أساس «الاختلاف» فى اللَّون. وبتضاعُف العنصريَّة التى تنخر فى أمريكا مثل سرطان مستعص على العلاج، فقد آن الأوان لأمريكا أن تنجو بنفسها من هذا الدَّمار المحقَّق، ذلك الدَّمار الذى حلَّ بالألمان بفعل العنصريَّة.

إنَّ كلَّ ساعة أقضيها هنا فى الأرض المقدَّسة تخوِّلنى روحيَّة واسعة للنَّظر فيما يحدث فى أمريكا بين السُّود والبيض. فالزِّنجى الأمريكى غير ملوم فى حقده العرقىِّ؛ لأنَّ تصرُّفه ردَّة فعل لأربعمائة عام من عنصريَّة الأمريكيِّين البيض. وبما أن العنصريَّة تجرُّ أمريكا إلى طريق الانتحار، فإنَّنى أؤمِن- اعتماداً على تجاربى الخاصَّة مع الأمريكيِّين- أنَّ الجيل الجديد من البيض، فى المعاهد والجامعات، سوف يرى الكتابات الجدرانيَّة، وسوف

ص: ۲۵۵

ينصرف كثيرٌ من تلك الكتابات إلى الحلِّ الرُّوحى الحق، الطريق الأوْحد الأخير لأمريكا لتفادى الدَّمار الذى تحول إليه العنصريَّة لا محالة.

إنَّنى لم أحظَ قط بحفاوة مثل هذه، ولم أشعر بمثل هذا التّواضع، فمَن الذى كان يتنبَّأ بمثل هذا الإكرام فى حقِّ زنجىٍّ أمريكى؟ ومنذ ليال معدودة فحسب، كان فى خدمتى هذا الرَّجل الذى يمكن تسميته ب- (أبيض) فى أمريكا، وهو دبلوماسىٌّ فى الأمم المتحدة، سفير، نديم الملوك .. وجعل تحت تصرُّفى جناحه فى القصر .. حقاً، إنَّنى لم أحلم قطُّ بأن أحظى بمثل هذا الإكرام، إكرامٌ يُخصُّ به الملوك فى أمريكا فحسب، لا رجل زنجىٌّ.

حمداً وشكراً لله ربّ العالمين».

الحاج مالك الشباز (مالكولم إكس)

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹